الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

UNIVERSITE 08 MAI 1945-GUELMA
Faculté : des lettres et des langues
Département de langue et littérature Arabe

جامعة 8 ماي 1945 قالمـــة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستر

(تخصص: أدب جزائري)

التّناص الدّيني في النثر عند البشير الإبراهيمي -فن المقال أنموذجًا-

مقدمة من قبل: أمال ملايكية

تاريخ المناقشة: جويلية 2019

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
إبراهيم كربوش	أستاذ مُحاضر ب	رئيسًا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
نصر الدين شيحا	أستاذ مُساعد أ	مشرفًا ومقررًا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
ليلى زغدودي	أستاذ مُساعد أ	فـــاحصًا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية: 2018 - 2019

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل كلّ شيء الشّكر لك ربّنا أن وفقتنا في التّغلب على صعاب هذه المسيرة العلمية.

والحمد لله إلهي في جعلنا من الفائزين إنْ شاء الله

وبكل معاني التّقدير وبخالص الشّكر والعرفان إلى الذي كان له الفضل على هذا الإشراف أستاذنا الفاضل:

"نصر الدين شيحا"

الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته التي أفادتنا كثيرًا في هذا البحث.

إلى كل أساتذة قسم اللّغة العربية وآدابها

وأخص بالذّكر لجنة المناقشة، جميل الشّكر وصادق الامتنان

الذي كان لهم الفضل في تنقيح هذه المذكرة.

وفي الأخير أتقدم بجزيل الشّكر إلى كلّ من مدّوا لي يد العون

وخاصة أفراد عائلتي وإلى جميع أقاربي من قريب أو بعيد.

أمال ملايكية

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين الذي لا يحمد على مكروه والصّلاة والسّلام على خير الورى محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هديه أفضل وأتّم التّسليم وبعد:

تحتل الدّراسات النّصية حيزًا مهما في مجال البحث الأدبي كونها تهدف إلى معرفة النّص من منطلق علاقته بماضيه وحاضره.

والتّناص كتقنية حديثة في مقاربة النّصوص الإبداعية، وكظاهرة إبداعية يلجأ إليها المبدعون في نصوصهم من أجل الاستعانة به على توصيل أفكارهم وتمرير مقاصدهم، وهذا ما ذهب إليه مختلف النّقاد، سواءً من العرب أو الغرب، أمثال: "محمد مفتاح"، "سعيد يقطين"، "رولان بارت"، "جوليا كريستيفا"... إلخ.

والأدب الجزائري عامّة والقديم منه خاصّة يزخر بالكثير من هذه الظاهرة (التّناص) التي ساهمت في إزاحة الغموض من خلال شرح النصوص القديمة، وكيفية التّعامل معها، ومن الأدباء المصلحين في الجزائر نجد العلاّمة والأديب "محمد البشير الإبراهيمي" الذي يتمتّع بلغة راقية وأسلوب بديع في أدبه والتي كانت ذات أبعاد إصلاحية موجهة للمجتمع الجزائري، ومعالجة قضاياه، وقد جسّدت من خلال مؤلفاته وخاصّة منها المقالة، التي تفيض ألفاظها ومعانيها بالتّناص الديني، وعلى هذا الأساس كان عنوان بحثي: "التّناص الدّيني في النّثر عند البشير الإبراهيمي –فنّ المقال أنموذجًا-"

وقد ألهمتني جملة من الأسباب تُساهم في اختياري لهذا الموضوع منها:

- الرّغبة في دراسة ظاهرة التّناص في الموروث الأدبي الجزائري، وأكثر ما شدّني إليه كيفية تداخل النّصوص الإبراهيمي مع النصوص الدّينية.

أمّا عن أهداف الدّراسة فتتمثل في:

- التّعرف على نظرية نقدية حديثة ألا وهي التّناص.

- اكتشاف النّص الغائب وكيفية تعامل النّص الحاضر معه، وذلك من خلال مقالات "البشير الإبراهيمي".

وقد تبلورت لدينا عدّة تساؤلات حول هذا الموضوع أهمّها:

ما هي أنواع التّداخل النّصي في مقالات الإبراهيمي؟ وما هي أشكال حضورها؟ وكيف تمّ توظيفه في خدمة البعد الإصلاحي في مقالات الإبراهيمي وجعلها تخدم مواقفه وسياقات نصّه؟

وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي للإجابة عن هذه التساؤلات ولقراءة هذا النّص الإبداعي القديم في ضوء مصطلح نقدي جديد.

ومن هنا كان الاعتماد على خطّة بحث والتي تتكون من ثلاثة فصول وخاتمة.

أما الفصل الأول فجاء في أربعة مباحث، المبحث الأوّل تناولنا فيه مفهوم التّناص، أمّا المبحث الثاني قمنا بدراسة إرهاصات التّناص في النّقد العربي القديم من خلال بعض المصطلحات التي تقترب في مفهومها من فمفهوم التّناص، وفي المبحث الثالث، فقد درسنا فيه التّناص في الجهود العربية الحديثة (مع أشهر النّقاد العرب المحدثين)، ثمّ في النّقد الغربي وأيضًا (مع أشهر النّقاد الغربيين)، وكلّ حسب نظرته ورؤيته النقدية، لينتهي هذا الفصل بمبحث تحت عنوان: أنواع التّناص ومجالاته.

أمّا الفصل الثاني، فتناولنا فيه مبحثين، كان الأوّل بعنوان: "فنّ المقال عند البشير الإبراهيمي"، والمبحث الثاني فضمّ قضايا المقال، وقد تنوعت هذه المقالات من اجتماعية، سياسية، دينية، ثقافية.

أمّا الفصل الثالث فكان مُخصص للجانب التطبيقي وهو لبّ البحث، تحت عنوان: "تجليات التّناص الدّيني في مقالات البشير الإبراهيمي"، حيث قمنا بدراسة تطبيقية من خلال مقالات "البشير الإبراهيمي" مُستخرجة منها مظاهر التّناص الديني والمتمثل في (القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، والقصص والأحداث التّاريخية الدّينية)، وقد ساهم هذا في إثراء ثقافة العلاّمة "البشير الإبراهيمي".

ثمّ ختمنا هذا البحث ببعض المصادر والمراجع أهمها: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، وعيون البصائر لإبراهيمي، كتاب تحليل الخطاب الشعري لمحمد مفتاح، والنّص الغاب لمحمد عزّام، وغيرها من الكتب العربية والأجنبية المساعدة في هذا البحث.

وقد اعترضتنا صعوبات في هذا البحث أهمها: قلّة الدّراسات التطبيقية.

- تشعب التّناص واختلاف مفاهيمه، تبعًا لاختلاف أيديولوجيات الدّارسين له في الحقل الغربي والعربي.

وفي الختام أتوجه بالشكر والعرفان إلى لجنة المُناقشة المحترمين لقاء قبولهم مناقشة هذا الموضوع، وإلى كلّ ما ساعدني من قريب أو بعيد وعلى رأسهم الأستاذ الفاضل "نصر الدين شيحا" الذي أنار لي الدّرب بتوجيهاته وإرشاداته.

الفصل الأول

التّناص، مفهومه ونشأته

1- مفهوم التناص.

1-1- لغــةً.

2-2- اصطلاحًا.

2- ارهاصات التناص في النقد العربي القديم.

3- التناص في الجهود العربية الحديثة.

4- التناص في الدّراسات الغربية.

5- أنواع التناص.

6- مجالات التناص

1- مفهوم التناص:

1-1- لغــةً:

شهد مصطلح التناص عدّة تعريفات لغوية، حيث تناولته العديد من المعاجم والمصادر المختلفة التي نذكر منها: لسان العرب، معجم مقاييس اللغة، معجم متن اللغة وغيرها... إلخ.

النّص: رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصًّا: رفعه، وكل ما أُظْهِرَ فقد نصَّا، ونصص المتاع: جعل بعضه فوق بعض، ونص الحديث إلى صاحبه: رفعه وأسنده إلى من أحدثه، و(نصّص) الرجل: استسقى مسألته حتى استخرج ما عنده[1].

ويُقال: نص الحديث: رفعه وأسنده إلى المحدث عنه، وانتص الشيء: ارتفع واستقام، وتناص القوم: ازدحموا[2].

وجاء في مادة "نصص" أنّ التناص من نص نصًا الشيء: رفعه وأظهره، نقول: نصّصت الحديث أي رفعته إلى صاحبه[3].

وتناص القوم عند اجتماعهم أي: ازدحموا و فلان نص: استقصى مسألته حتى استخرج ما عنده[4].

1- ابن منظور، (أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم)، لسان العرب، ج6، دار صادر، بيروت، 1988م، ص 4442.

2- إبراهيم مصطفى أحمد الزيات، المعجم الوسيط، ج1، دار الدعوة للطباعة والنشر، إسطنبول، ط2، 1972م، ص 926.

3- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، مؤسسة الرسالة، ط2، 1986م، مادة [ن ص]، ص 843.

4- أحمد رضا، معجم متن اللغة، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1960م، ص 472.

ونستخلص من هذه التعاريف اللغوية أنّ لفظة نص تعني رفع الشيء أي أخذه وتحريكه، وجعل بعضه على بعض وكل هذه المعاني تقرب منا مفهوم التناص اللغوي، وأنّ معناه دخول النصوص في بعضها.

1-2- اصطلاحًا:

التناص في الأدب مصطلح نقدي يُقصد به تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حديث بكيفيات مختلفة، وقبل أن نبينها نحلل بعض المفاهيم الأساسية.

ونجد أنّ هذا المفهوم يتداخل مع عديد المفاهيم النقدية مثل: "الأدب المقارن"، المثاقفة، دارسة المصادر، السرقات... لهذا فإنّ الدراسة العلمية تقتضي أن يميز كل مفهوم من غيره ويحصر مجاله بتجنب الخلط.

وعلى هذا الأساس حاول "محمد مفتاح" توسيع مفهوم التناص، فرآى أنّه يجب تحديد مفهوم النص أولاً الذي تعرض إلى مفاهيم عديدة ولنصل بعدها إلى تعريف النص أنّه: «مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة»[1].

فنجد أنّ التناص يركز على تفاعل النصوص بعضها البعض، فهي: «تتعالق لتخلق من النص الأول نصًا ثانيًا يتشظى في نص آخر لتشكل مجريات التناص من خلال عملية اقتباس الصور لبناء الصور الكلية»[2].

1- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1992م، ص 20.

2- جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشهر الجزائري المعاصر، دار هومة للنشر، الجزائر، (دط)، (دت)، ص 118.

فالتناص هو مشتق من مفهوم النص ومبني أساسًا عليه أي هو تعالق نصوص مع نص حديث بكيفيات مختلفة[1].

وهذا ما يجعل التفاعل والتشارك بين النصوص ركنًا رئيسيًا للتناص، مما يقتضي الحفظ والمعرفة بالنصوص السابقة لأنّ النص يتعلق حدوثه بتمثيل النصوص السابقة بنص واحد يجمع بين الحاضر والغائب، فيقتضي استحضار النصوص جليًا «فلا يتم النضج الحقيقي للنتاج الأدبي إلاّ بعد استيعاب الجهود السابقة عليه»[2].

فالتناص إذا يعني حدوث تفاعل أو تشارك بين نصين يستفيد أحدهما من الآخر. ممّا يطلق عليه بعض الباحثين مسميات كثيرة منها:

- العلاقة بين النصوص.
- المتعالقات النصية.
- التداخل النصي.
- التفاعل النصي.

وبمعنى أوضح هو تداخل نصوص أدبية مختارة قديمة أو حديثة شعرًا أو نثرًا مع القصيدة أو النص الأصلي، بحيث تكون متسقة وفي إطار الفكرة التي يطرحها الشاعر.

1- جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشهر الجزائري المعاصر، ص18.

2- محمد فارس سليمان عبد المنعم، مظاهر التناص الديني في شعر أحمد مطر، نابلس، جامعة النجاح الوطني، 2005م، ص 13.

ونجد "إبراهيم رماني" التناص عنده ليس إلاّ عملية تفاعل لنص غائب أيّا كان شكله، فالنص الغائب عنده يماثل المعطيات والمظاهر المستمدة من الثقافة والتي تتفاعل مع النص الرّاهن وقد أورد الباحث ثلاثة أشكال هي[1]:

1- الاجترار: الذي ليس فيه إلاّ الإعادة والتّكرار.

2- الامتصاص: الذي يعيد الشاعر في كتابه النص وفق متطلبات تجربته الحديثة دون أنْ ينفي أصله.

3- الحوار: وتعاد فيه صياغة النص الغائب على نحو مغاير فتسقط من أجزاء وتُضاف إليه أجزاء أخرى.

2- إرهاصات التناص في النقد العربي االقديم:

مصطلح التناص من المصطلحات الغربية الحديثة، لكنّه في الوقت نفسه من المصطلحات التي قد يكون لمدلولها جذور أو إرهاصات في النقد العربي القديم، حيث لاحظ النّقاد العرب القدامى أنّ معاني بعض الشعراء تتكرر عند شعراء آخرين، فدرسوا ذلك تحت باب: السرقات الأدبية، المعارضة، والمناقضة، التضمين، والاقتباس، العكس الإغارة والإشارة وغيرها من المصطلحات النقدية، التي أوردها ابن رشيق في عمدته[2].

1- إبراهيم رماني، الغموض في الشعر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة/المركزية، الجزائر، ط1، (دت)، ص247.

2- ينظر: ابن رشيق القيرواني، (أبي علي الحسن)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد عبد القادر، أحمد عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1422هـ/2001م، ص 280

كما تناولوا قضية النص الفحل أو النموذج، أي ذلك النص السابق الذي استوفى شروط الإجادة على صعيد اللّغة والمعنى والتّداول[1]، فهو المثال المحتذى للنصوص اللاّحقة، حيث نجد عنترة بن شداد يقول في مطلع معلقته:

هل غادر الشعراء من متّردم * أم هل عرفت الدّار بعد توهّم[2]

فهي إبراز لتقليد البداية الذي ينبغي الأخذ به في كل نص شعري لتحقيق شاعريته، فهو هنا يصرّح أنّ كلّ القصائد الشعرية التي تناولت الطلل قد تطرّق إليها شعراء قبله، فالشعراء لم يتركوا مجالاً إلاّ سبقوه إليه.

كما ردّدها كعب بن زهير قائلاً:

ما أرانا نقول إلاّ مُقارًا * أو معادًا من لفظنا مكرورًا[3]

وهذا يعني أنّ عنترة لاحظ أنّ المعاني الخاصة بالطلل قد سبقه إليها الشعراء من قبله، أمّا بيت زهير فيؤكد أنّ الشعراء لا يقولون إلاّ ما كان قد قيل، فهم إمّا يستعيرون من نصوص سابقة، التي تعتبر في نظرهم نصوصًا نموذجية، وإمّا يعيدون إحياء نصوصهم بطريقة أو بأخرى.

1- سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي، من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1992م، ص 12.

2- الزوزني، (أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم) شرح المعلّقات السّبع (معلقة عنترة)، دار صادر بيروت، ط1 2002م، ص 137.

3- كعب بن زهير، الديوان قراءة وتقديم: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1995م، ص 31.

فالفضل دائما يبقى للنص السابق على اللاّحق، ومن هنا تكرّست هيمنة النّص الفحل وانبرى الشعراء يمدحون بهوس تداخل نصوصهم مع نصوص سابقيهم[1].

مما أدى هذا الحفظ والامتلاء بالنصوص السابقة دعوة النّقاد بالشعر العربي القديم، فكانوا يطلقون على الشاعر الفحل من تتفق لديه ملكات الإبداع، ويمتلكون الأدوات الفنية اللاّزمة من نصوص هؤلاء، فالنصوص السابقة بالنسبة لعلماء الشعر العربي القديم هي بمثابة الخلفية النّصية والمخزون الشعري والأدبي، الذي ينهلون من أنهاره التي لا تنضب.

ولكن فكرة الامتلاء بالنّسق السابق تتجاوز إلى مستوى أكثر قُربًا من مقولات التناص، من حيث هو تفاعل نص ونصوص أخرى.

وهو ما ذهب إليه "ابن خلدون" في قوله: «ثم بعد الامتلاء من المحفوظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل –الشاعر- على النظم بالإكثار منه فتحكم وتُرسّخ وربما يقال أنّ من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتمّحي رسموه الحرفية الظاهرة، إذْ هي صادرة عن استعمالها بعينها، فإذا نسيتها، وقد تكيّفتْ النفس لما انتقش الأسلوب فيها كأنّه منوال يأخذ بالنسج على أمثالها من كلمات أخرى...»[2].

إذن فتداخل النصوص لا يعني أنّ المبدع أصبح ضعيف القدرة، وإنتاج النصوص الجديدة و لا يعني تراكم للنصوص الأخرى بل هي التجديد وإعادة البناء.

فقد ارتبطت ظاهرة التناص عند النّقاد القدامى بالسّرقات الشعرية، فالشاعر مهما كانت موهبته أو نبوغه الشعري فإنّه يحمل نفحات من نصوص غيره، ومن هذه النفحات

1- فاتح حمبلي، التناص في شهر ابن هانئ الأندلسي، جامعة باتنة، (دط)، 2003-2004م، ص 30.
2- ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 1996م، ص429.

ما هو واضح وجلي، ومنها يتطلب براعة النّاقد في الكشف عنها وظاهرة استعادة النصوص السابقة في إبداع الشعراء اللاّحقين حقيقة تناصية، فالشاعر يجب أنْ يكون مثقفًا بأوسع معاني الثقافة كما جاء في العقد الفريد لابن عبد ربه: «من أراد أن يكون عالمًا فليطلب علمًا واحدًا ومن أراد أنْ يكون أديبًا فليتسع في العلوم»[1].

فيمكن القول أنّ مصطلح السرقات قد ارتبطت جذورها بالعصر العبّاسي، حيث نجد بعض الأبيات التي تدل على وجود السرقة الشعرية يقول طرفة بن العبد[2]:

ولا أغير على الأشعار أسرقها * عنها غنيت وشرُّ النّاس من سرق

كما يحدث أحيانًا في إطار التعالق النّصي «أن يستعير اللاّحق من السّابق الهيكل أو القالب أو طريقة المعالجة الفنية، بدلاً من المحتوى بدافع الإعجاب أو الرّغبة في التّجاوز، وتحدّد طبيعة هذه العلاقة النّصية بأنها كتابة حديثة على آثار كتابة قديمة وذلك بأن يشق نص من نص آخر بطريقة المحاكاة أو التحويل»[3].

فالمتأمل في المؤلفات النقدية العربية القديمة يجد أنها صورة واضحة لوجود أصول لقضية التناص فيه، حيث وضعت تحت مسميات عدة وكلها تكاد تقترب من المصطلح الحديث –التناص- فإلى جانب مصطلح السرقة نجد مصطلحات عديدة منها الاقتباس والتضمين النقائض الشعرية وغيرها...

1- ابن عبد ربه أحمد، العقد الفريد، ج2، المطبعة الشرقية، القاهرة، (دط)، 1916م، ص 99.

2- طرفة ابن العبد، الديوان، شرح وتقديم، سعيدي الحسناوي، دار الكتاب العربي، بيروت، (دط)، 1424هـ/2004م، ص 194.

3- عمر عبد الواحد، دوائر التناص، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2003م، ص ص 08، 09.

فنجد مثلا الاقتباس يضمن فيه المتكلم كلامه من القرآن الكريم أو يأخذ الشاعر شعرا من بيت شعري بلفظه ومحتواه، وهو يمثل شكلا تناصيا يرتبط فيه المدلول اللغوي بالمفهوم الاصطلاحي، الذي يتمثل في عملية الاستبداد التي تتيح للمبدع أن يحدث انزياحا محددا في خطابه «بهدف إضفاء لون من القداسة وذلك بتضمين شيئا من القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف أو الشعر القديم»[1].

ويمكن أن يكون الاقتباس كذلك عن طريق استحضار حكمة أو مثل أو قصة أو إشارة إلى بيت مشهور يقول ابن رشيق «ومن عادة القدامى أن يضربوا الأمثال في المراثي بالملوك الأعزة والأمم السابقة»[2].

ومن أمثلة هذا النوع نجد قول الإمام الشّافعي:

أنلني بالّذي استقرضت خطأ * واشهد معسرا قد شاهدوه

فإنّ الله خــلاّق البــرايــا * عنت لجلال هبته الوجوه

يقــول إذا تــداينتم بديــن * إلى أجل مسمّى فاكتبوه[3]

وقد اقتبس الشافعي قوله هذا من القران الكريم، و ذلك لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾[4].

1- محمد عزام، النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، مكتبة الأسد، (دط)، 2001م، ص42.

2- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص 169.

3- الإمام محمد بن إدريس الشّافعي، الديوان، ط3، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2005م، ص125.

4- سورة البقرة، الآية 282.

أما التضمين فيضمن الشاعر أو الكاتب شيئا من شعر الغير، مع التنبيه، إن لم يكن مشهورا عند البلغاء[1].

والتضمين يحدث عندما يستعين المبدع بالنص الغائب لإحداث التأثير النفسي والبلاغي المطلوب، وذلك بأخذ الشاعر شطرا أو حتى بيتا كاملا أو أكثر من غيره، وقد يكون التضمين مباشرا أو غير مباشر عن طريق الإشارة أو التلميح أو غير ذلك[2].

وفي هذا يقول ابن المعتز:

ويا رب لا تنبت و لا تسقط الحيا * بسقط اللّوى بين الدخول فحومل[3]

ويشير الشاعر من خلال هذا البيت، إلى معلقة امرئ القيس يقول في مطلعها:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللّوى بين الدخول فحومل[4]

ونجد أيضا النقائض الشعرية لم تقل أهمية هي الأخرى عن القضايا الأخرى، وتعني في اللغة «من نقض البناء و هو هدمه، أي ينقض قولي وأنقض قوله»[5].

أما في الاصطلاح فهي: «أن يتجه الشاعر بقصيدته إلى شاعر آخر، هاجيا أو مفتخرا فيعمد الآخر إلى الرد عليه بقصيدة هاجيا أو مفاخرا، ملتزما الوزن العروضي

1- ينظر: جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: فوزي عطوان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط4، 1998م، ص 570.

2- ينظر: أحمد حسن حامد، التضمين في العربية، دار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2001م، ص23.

3- بدوي طبانة، السرقات الأدبية، دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (دط)، 1986م، ص 161.

4- الزوزني، شرح المعلقات السبع (معلقة امرئ القيس)، دار صادر، بيروت، ط1، 2002م، ص07.

5- ابن منظور، لسان العرب، مج6، ص 245.

والقافية والروي الذي اختاره الشاعر الأول فيفسد على الأول معانيه ويردها عليه ويزيد عليها»[1].

ومن مثال عن ذلك نجد الأخطل لما هلك قال جرير:

وزار القبور أبو مالك * فأصبح أهون زوّارها[2]

أخذ الفرزدق المعنى فقلبه لصالحه ضد جرير و قال:

وزار القبور أبو مالك * برغم العداة و أوتارها[3]

وخلاصة القول فالمصطلحات السابقة الذكر والغير مذكورة كالاحتذاء التلميح الإشارة، التوليد والإغارة...الخ، كلها تصب في بوتقة واحدة وهي التداخل النصي ونجدها أيضا مصطلحات استعملها النقاد القدامى كتلميحات وإرهاصات أولى للتناص ليتخذ هذا الأخير كمصطلح أكثر دقة وتوضيح وذلك في النقد الحديث.

3- التناص في الجهود العربية الحديثة:

ظهر هذا المفهوم عند هؤلاء خلال أواخر السبعينات مستفيدين في ذلك من النظريات والآراء الغربية، ومحاولين طرح تصوراتهم ومفاهيمهم الخاصة والمختلفة، ونجد "**محمد مفتاح**" يُعرّف التّناص أنّه: «الدخول في علاقة وهو تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة»[4].

1- محمد عزام، النص الغائب، ص 59.

2- جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التّميمي، الديوان، ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليا الحاوي، ج1، الشركة العالمية للكتاب، ط2، 1995م، ص 371.

3- الفرزدق، (همام بن غالب بن صعصعة الدرامي التميمي)، الديوان، ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليا الحاوي، ج1، الشركة العالمية للكتاب، ط2، 1995م، ص 614.

4- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص ص 119-121.

فمفهوم التناص عند الباحثين العرب شابه إلى حد كبير بمفهومه عند النّقاد الغربيين، وهذا ما أشار إليه "محمد مفتاح" إلى الباحثين الذين تناولوا هذا المصطلح بالتعريف، وهم: "كريستيفا واريفي، ريفاتير..." ولم يقدموا تعريفاً جامعًا مانعًا.

ليخلص إلى أنّه إذا كانت ثقافة ما محافظة تنظر إلى أسلافها بمنظار التقديس والاحترام فإنّها تكون مجترة محافظة، وما قلناه في الثقافة نقوله عن الأدباء والشعراء، فمنهم المتتبع والمقتدي ومنهم المشاكس المعتدي الثائر[1].

فأساس إنتاج أي نص حسب رأي "محمد مفتاح" هو معرفة صاحبه للعالم، وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي وقد توسع محمد مفتاح في كتابه "دينامية النص تنظيرًا وإنجازًا"، تحت موضوع الحوارية في النص الشعري، وتناسق النص الشعري وحاول الإجابة على أشكال اجترار وإعادة الإنتاج في الثقافة العربية ومجالي السخرية والجدية، ودرس هذه الظاهرة باعتبار وظائف كل إنتاج في بنيته وقصيدته وظروف إنتاجه مبنيًا كيفية اشتغال النص بناء على شبكة العلاقات[2].

ومن هنا يتضح أنّ "محمد مفتاح" قد أعطى أهمية كبيرة في تشابك العلاقات النصوصية وتفاعلها لأنّ «... التفاعل بين النصوص وتوارثها وتداخلها تطلق عليه إحدى

1- ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، الجزء الثاني، دار هومة للطبع، الجزائر، (دط)، (دت) ص 96.

2- محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1990م، ص81.

مدارس النقد المعاصر تداخل النصوص، وهو مفهوم متطور لكشف حقائق التجربة الإبداعية والعلاقة بين النصوص في الجنس الأدبي الواحد»[1].

وحديثنا عن التداخل فقد أشار الباحث إلى التداخل بين النصوص المختلفة التي شكلت ميادين الدراسات النقدية المعاصرة وذلك من خلال بعض المفاهيم الأساسية[2]:

1/ المعارضة: وتعني أنّ عملاً أدبيًا أو فنيًا يحاكي فيه مؤلفه كيفية كتابه "معلم" في أسلوبه ليقتدي بهما أو لرياضة القول على هديهما أو السخرية منهما.

2/ المعارضة الساخرة: أي التقليد الهزلي أو قلب الوظيفة بحيث يصير الخطاب الجدي هزليًا، والهزلي جدي... والمدح ذمًا والذّم مدحًا.

3/ السرقة: وتعني النقل الاقتراض والمحاكاة... مع إخفاء المسروق، وحسب رأي محمد مفتاح هناك نوعين من التناص هما:

- المحاكاة الساخرة (النقيضة): التي يحاول كثير من الباحثين أنْ يختزل التناص إليها.

- المحاكاة المقتدية (المعارضة): التي يمكن أنْ نجدها في بعض الثقافات من يجعلها هي الركيزة الأساسية للتناص[3].

أمّا "**عبد الملك مرتاض**": فيذهب إلى ما ذهبت إليه "جوليا كريستيفا" في مفهوم التناص فيقول: إنّ النص شبكة من المعطيات الألسنية والبنوية والأيديولوجية تتظافر فيما بينها لتنسجه، فالنص قائم على التعدّدية، ولعلّ هذا ما تطلق عليه "كريستيفا" إنتاجية النص "Productivité du texte" فتنشيط اللغة بعني الاهتداء إلى كيفية نشاط هذه اللغة التي

1- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتفكير، النادي الأدبي الثقافي جدة، السعودية، ط2، سنة1991م، ص13.

2- محمد مفتاح، دينامية النّص، ص 121.

3- نفسه، ص ص 121، 122.

هي أصل النص الأدبي في كل مراحله ومظاهره بحكم تداولها بين أفراد القوم وتعبيرها عن أغراضهم[1].

وبمعنى آخر "فمرتاض" يقرّ أننا إْن نتاص نعيد كلام غيرنا بنسج آخر من أن نكونه في كل أطوارنا ونستوحيه، ونضاده ونعارضه، نستحضره على وجه ما، في الذهن أو في المخيلة فيجري على القريحة ويغتدي نصًا عالمًا في النصوص شاردًا في فضائها وقد لا يعرف أحد ذلك على الإطلاق[2].

وفي هذا السياق أيضًا يعرّفه "جاسم عاصي": بأنّه تشظّي المعرفة بالموروث في جسد النص على شكل علامات وإشارات تشير إلى بنية حدث، وبموضوع الإشارات تكمن سيرورة الحدث الرئيسي وكليته[3].

وبهذا المعنى يرى خليل الموسى أنّ التناص تشكيل نص جديد من نصوص سابقة أو معاصرة تشكيلاً وظيفيًا، فيغدو النص المتناص خلاصة لعدد من النصوص التي أمحت الحدود بينها[4].

وإذا كان محمد مفتاح قد راهن على الدلائلية في مقارنته للنص الشعري فإننا نجد "**سعيد يقطين**" في كتاباته النقدية التي خص بها الجنس الروائي يعتمد على الشعرية مستثمرًا في ذلك تنظيرات "جيرار جينيت" حول المتعاليات النصية ليؤسس بعد ذلك

1- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 103.

2- عبد الملك مرتاض، الكتابة أو الحوار النصوص الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، المجلد 28، تشرين الأول 1998م ص 16. بتصرف.

3- جاسم عاصي، قراءة التناص الموروث في النص الرافد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، (دط)، مارس 2000م، ص 27.

4- خليل الموسى، التناص والأجناسية في النص الشعري، الموقف الأدبي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، المجلد 62، أيلول 1996م، ص 81.

مفهومه الخاص للتفاعل النصي الذي اتخذه كتسمية بدل التناص الذي أصبح نوعًا من أنواعه.

وفي تعريفه للنص يقول: «بنية ودلالية تنتجها ذات (فردية أو جماعية) ضمن بنية نصية منتجة وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة»[1].

فالبنية النصية التي سبق إنتاجها هي التي يتفاعل معها النص الجديد تضمينًا أو تحويلاً أو خرقًا، وقد عالج هذه العلاقات في ضوء مصطلحات في المناصة والتناص، الميتناص.

1/ المناصة "Paratextualité": فهي البنية النصية التي تشترك وبنية نصية أصلية في مقام وسياق معينين، وتجاورها محافظة على بنيتها كاملة ومستقلة وهذه البنية النصية قد تكون شعرًا أو نثرًا، وقد تنتمي إلى خطابات متعددة، والمناصة تستعمل كتفاعل نصي داخلي أي داخل النص.

2/ التناص "Intertextualité": يؤخذ بعد التضمين، كأن تتضمن بنية نصية ما عناصر سردية من بنيات نصية، وتبدو كأنها جزء منها، لكنها تدخل معها في علاقة.

3/ الميتناصية "Inétatextualité": وهي نوع من المناصة لكنها تأخذ بعدًا نقديًا محضًا في علاقة بنية نصية طارئة مع بنية نصية أصل[2].

أُعتبر الجدل بين التراث والحداثة القديم والجديد أمر ضروري للأدب والنقد كي يتجاوزا واقعهما الساكن ويستشرف آفاق مستقبل أدبي يتركان بصماتهما عليه، وذلك أنّه دون تفاعل بين اللاحق والسابق وتأثره بالتراث والواقع، لا يمكن استمداد نسخ الاستمرار

1- سعيد يقظين، انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1992م، ص 32.

2- نفسه، ص 99.

الثقافي وبغير ذلك لا يمكن أن تقوم نهضة حضارية أو تقدم فكري وهذا ما نجده عند "سعيد يقطين" حين يجد علاقة أخرى يصطلح عليها تعليق النص، وتتجسد من خلال نصين محددين، أولهما سابق والثاني لاحق، تجمع بينهما علاقة تعلق، لذلك فالنص اللاحق "متعلق" والنص السابق "متعلق به"، هذا الأخير الذي تتم محاكاته والسير على منواله، أو تحويله أو نقده ومعارضته بسلبه كل مميزاته وقيمه[1].

أيضًا تعتبر دراسة "**محمد بنيس**" حول (الشعر المعاصر في المغرب) من الدراسات الأولى في ميدان البحث التناصي واستند في تصوره إلى "كريستيفا" و"تودوروف" فاعتمد مفهوم التناص كأداة نقدية لقراءة المتن وحدد ثلاث آليات لإنتاج النصوص الغائبة المتمثلة في: الإجترار والامتصاص والحوار.

وقد استبدل بعض مصطلحات التناص بمصطلحات جديدة في كتابيه "ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب" و"حداثة السؤال"، إذْ أطلق على مصطلح التناص مصطلح (التداخل النصي) الذي يحدث نتيجة تداخل نص حاضر مع نصوص غائبة، والنص الغائب هو الذي تعيد النصوص كتابته وقراءته، أي مجموعة النصوص المتسترة التي يحتويها النص الحاضر، وتعمل بشكل باطني عضوي على تحقق هذا النص وتشكل دلالته[2].

ويرى" بنيس" أنّ التداخل النصي ينسحب على كل نص شعري أو نثري قديم كان أو حديث، ويتجلى في غياب الخطابات التي قد تكون (دينية، ثقافية، تاريخية)، والتي تمثل النواة المركزية لنص القصيدة[3].

1- سعيد يقظين، انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، ص 99.

2- محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، دار العودة، بيروت، ط1، 1979م، ص 251.

3- ينظر: نفسه، ص251.

وهذا ما حاول "بنيس" إظهاره في تحليله لنماذج شعرية لكل من "السياب" و"أدونيس" و"محمود درويش".

أمّا في كتابه "حداثة السؤال" فقد استعاض مصطلح التناص بـــ "هجرة النص" الذي قسّمه إلى (نص مهاجر) و(نص مهاجر إليه)، واعتبرها شرطًا أساسيًا لإعادة إنتاج النصوص من جديد بحيث يبقى هذا النص المهاجر ممتدا في الزمان والمكان مع خضوعه لمتغيرات دائمة وتتم له هذه الفاعلية وتتوهج من خلال القراءة لأنّ النص الذي يفقد قارئه يتعرض للإلغاء[1].

ويبدو أنّ "محمد بنيس" في تقسيمه لمصطلح (هجرة النص) متأثرًا إلى حدّ بعيد بالنقاد الفرنسي "جيرار جينيت" الذي وضع تصنيفات محددة للتناص، تبدأ بـــ "التعالي النصي" الذي يمثل هروب النص من ذاته، بحثًا عن نص آخر، وانتهائه بـــ "المابين نصية" "Paratexte" الميتاناص الذي يأخذ شكل البنيات الجزئية التي يوظفها المبدع في خطابه الأدبي[2].

وقد حدّد محمد بنيس قانونًا عامًا لهجرة النص يتلخص فيما يلي:

1- إذا كان النص يجيب عن سؤال فئة اجتماعية في فئة من الفترات التاريخية وفي مكان محدّد أو أمكنة متعدّدة.

2- إذا كان النص يجيب عن سؤال مجال معرفي، أو مجالات معرفية مؤطرة أو غير مؤطرة زمانًا ومكانًا.

1- محمد بنيس، حداثة السؤال، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، (دط)، (دت)، ص ص96،97.

2- ينظر: سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي، ص 28.

3- إذا كان النص يجيب عن سؤال جميع هذه المجالات أو بعضها دون بعض الآخر[1].

4- التناص في الدّراسات الغربية:

نجد تعريف التناص في اللغة الفرنسية أنّه:

«Intertextualité : ensemble des relation qu'un texte et notamment un texte littéraire entretient avec un autre ou avec d'autres, tant au plan de sa création (par la citation, le plagiat, l'allusion, le pastiche… etc) qu'un plan de sa lecture et de sa compréhension par les rapprochements qu'âpere le lecture.»[2]

وهذا معناه أنّ التناص هو مجموعة العلاقات التي تربط نصًا أدبيًا –بصفة خاصة- نص آخر أو نصوص أخرى، في مستوى إبداعه (من خلال الاقتباس، الانتحال، التلميح، المعارضة... إلخ) وفي قراءته وفهمه بفضل الربط الذي يقوم به القارئ.

Et Intertextualité : «reseau des idéés, des discours, des motifs dulyurels, qui entretient cirres ponda,ce avec une ouvre»[3]

ومعناه أيضًا أنّه شبكة من الأفكار والخطابات والموضوعات الثقافية التي تدخل في تفاعل مع أثر أدبي ما.

فإذا اتبعنا التناص وبداياته الأولى، نجد أنّه مصطلح نقدي أُطلق حديثًا وأوّل من بلور هذا كمفهوم يعني علاقة بين النصوص تحدّق بكيفيات مختلفة هو "**ميخائيل باختين**" ثم جاءت بعده عدة أسماء، أمثال: (جوليا كريستيفا، لوتمان وريفاتير...).

1- محمد بنيس، حداثة السؤال، ص 97.

2- le petit la rouse compacte, le premier du piecle, Canada, Juliet 2000, P 555.

3- Bernard le Charfomier Dominique, rincé piere, Brumel Chistiane maatti, littérature texte et dicuments, introdaction historique de pierre Miquel xx siecle, collection herni litterrand, France, Juilliet 1998, P 875.

فقد استفاد "باختين" من جهود الشكلانيين الروس ثم أعلن القطيعة معها ليثمر تأمله بتأليف كتاب شعرية "دوستوفيسكي 1929"[1]، وأعلن فيه عن إرساء ما يُعرف بمبدأ الحوارية، هذا الإرث المعرفي الذي تتبناه "جوليا" فيما بعد وتستثمره في ضوء مصطلح التناص.

"فباختين" ينطلق في تحديد مفهوم التناص من خلال مفهوم الحوار في المجال الأدبي من مسمى الملفوظ أو التلفظ ولعل أهم مظهر من مظاهر التلفظ أو على الأقل الأكثر إجمالاً هو حواريته أي ذلك البعد التناصي فيه[2].

ويمكن شرح المبدأ الحواري من مفهوم التناص عند "باختين": «... يمكن قياس هذه العلاقات التي تربط خطاب الآخر بخطاب الأنا بالعلاقات التي تحدد عمليات تبادل الحوار رغم أنها بالتأكيد ليست متماثلة، يدخل فعلان لفظيان تعبيريان إثنان، متجاوران في لفظ خاص من العلاقات الدلالية ندعوها نحن علاقة حوارية والعلاقة الحوارية هي (دلالية) بين جميع الملفوظات التي تقع ضمن دائرة التواصل اللفظي»[3].

فالتناص عند "باختين" يركز على الطبيعة التواصلية للفظ الذي يكون قاموسيًا ولا يكون حياديًا لأنّه يحمل في أحشائه إيديولوجيا متكاملة بين المرسل والمتلقي.

وقد لاحظ "باختين" أنّ كلّ خطاب يتكون على الأقل من خطابين مما يشكل حوارًا، إذ يقول: «الأسلوب هو الرجل، لكن باستطاعتنا القول أنّ الأسلوب هو رجلان على الأقل

1- ميخائيل باختين، الشعرية دوستوفيسكي، ترجمة: جميل نصيف التكريتي، منشورات توبقال، المغرب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (دط)، 1981م، ص 114.

2- أنظر: ترفيتان تودوروف، ميخائيل باختين، المبدأ الحواري، تر: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1996م، ص 16.

3- ميخائيل باختين، الشعرية دوستوفيسكي، ص ص 121، 122.

أو بدقة أكثر الرجل ومجموعته الاجتماعية»[1]، نظرًا لهذا فقد صاغ نظرية في تعدد القيم النصية المتداخلة، وهو الذي حزم بأنّ وعي المبدع يعيش في عالم يزدحم بملحوظات الآخرين الحاصلة لوجهات نوعية حول العالم وأشكال تأويلية اللفظي، فيبحث وعيه في خضم هذا العالم عن طريقة مُحيدًا تشكيله ومُؤسلبًا لأساليب الآخرين، لينتج بعد ذلك خطابًا أدبيًا لا يحمل صوته ونظرته للعالم فحسب وإنما المنظورات الغيرية الدلالية والخلافية التي تتجاوز وتتحاور مكملة بعضها البعض[2].

فنظرية "باختين" تقوم على التداخل بين النصوص، فكل ظاهرة أسلوبية تنبثق من نص ما هي قضية وجود وحضور في كل أسلوب جديد تنشأ داخليًا كجدلية تقويضية للنص الآخر، وأنها معارضة أسلوبية مخفية للأسلوب الآخر[3].

ولهذا فنظريات "الحوارية" والرواية المتعددة الأصوات بالنسبة لباختين هي المقدمة الأساسية لمفهوم التناص.

وتعدّ الكاتبة الفرنسية ذات الأصل البلغاري "**جوليا كريستيفا**" تلميذة الباحث "باختين" فهي صاحبة التنظير المنهجي لنظرية التناص، حيث استخدمت في تلك المقالات والبحوث التي كتبتها سنة 1967/1966م وصدرت في مجلتي "تيل كيل" "Telquel" و"كريتيك" "Critique" وأعيد نشرها في كتابها "سيميوتيك" "Sémiotique" ونص الرواية "Texte du roman"، معتمدة في تحديدها لمصطلح التناص على المقدمة التي تصدرت كتاب "باختين" "شعرية دوستويفسكي"، إذ كان يُطلق على التناص اسم الإيديولوجيم وسمته

1- ميخائيل باختين، الشعرية دوستوفيسكي، ص 124.

2- تزفيتان تودوروف، الشعرية، تر: شكري المبخوت، ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1987م، ص 41.

3- عبد الله الغدامي، الخطيئة والتفكير، ص 321.

"كريستيفا" "الصوت المتعدد" فعرّفته بأنّه: «التقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ من نصوص أخرى، أو هو العلاقة بين خطاب الأنا وخطاب الآخر»[1].

فهي ترى بأنّ النص هو إنتاجية، أي أنّ هذا المفهوم شديد الصلة بمصطلح الإنتاج ، وكون النص إنتاجية معناه[2]:

- أنّ علاقته باللسان الذي يتموقع داخله هي علاقة إعادة توزيع هادمة لبناءه، ولذلك فهو قابل للتناول عبر المقولات المنطقية لا عبر المقولات اللسانية الخالصة.

- أنّه ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطفة من نصوص أخرى.

- ولهذا يُصبح عمل التناص عبارة عن علاقة "اقتطاع وتحويل" فالاقتطاع يعني اعتماد النص الجديد على نصوص أخرى سابقة، واستخدامها في بنية وفق قوانين وآليات خاصة، أمّا التحويل فهو توظيف النصوص السابقة وجعلها مزيجًا متفاعلاً لتوليد دلالات جديدة منها.

فالتناص عند "كريستيفا" هو أحد مميزات النص، فهي دائمًا تُحيل إلى نصوص سابقة على النص المقروء، أو معاصرة له بمعنى أنّ النص إعادة لنصوص أخرى داخل مكوناته، فهي تطرح فكرة "النص التوالدي" والتوالدية تتخطى البنية لتضعها في إطار أعمق منها وبذلك يكون التناص التقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ عن نصوص أخرى[3].

1- تيزفيتان تودوروف وآخرون، في أصول الخطاب النقدي الجديد (مفهوم التناص في الخطاب النقدي)، تر: أحمد المديني، دار الشؤون الثقافي، بغداد، العراق، (دط)، 1987م، ص 103.

2- جوليا كريستيفا، نظرية التناصية والنقد الجديد، مجلة الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية تصدر عن إتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد 494، حزيران 2007م، ص 2.

3- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 96.

كما ركّزت "جوليا" على صوغ علامات العالم التحليلي أو التحليل الدلالي، فالعلامات عندها تقوم على الترميز الذي يتمحور فقط حول استنطاق مدلول اللغة، إنما يتوكأ على معطيات تستقيها من علم النفس التحليلي والرياضيات ومجمل المفاهيم الرياضية للقبض على النص كممارسة تعبيرية هادفة، ولهذا عرف عنها بالتصفيحية التي عرّفتها بقولها «هي امتصاص معاني نصوص داخل الرسالة الشعرية»[1].

وعلى هذا فالتناص لدى "جوليا" هو ذلك التقاطع داخل نص لتعبير (قول) مأخوذ من نصوص أخرى، أو لوحة فسيفسائية من الاقتباسات وكل نص هو تسرب وتحويل لنصوص أخرى[2].

كما ترى "كريستيفا" أنّ ظاهرة التناص لها جذور في التاريخ الأدبي، تستمد على النصوص الشعرية الحديثة، بل أصبحت قانوناً جوهريًا فيها «إذ هي نصوص تتم صناعتها عبر امتصاص وفي نفس الآونة عبر هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصيًا، ويمكن التعبير عن ذلك بأنها ترابطات متناظرة ذات طابع خطابي»[3].

وكل ما أنتجته "كريستيفا" من إصدارات وآراء منذ مجلة "تال كال" وبعد ذلك قد هيأ الأرضية للتناص، وجعل منه مفهومًا مركزيًا ينتقل من مجال دراسي إلى آخر، ومن قطر إلى غيره من الأقطار، بل أنّ مصطلح التناص شكّل البوتقة التي انفجرت منها

1- جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب، (دط)، 1991م، ص78.

2- مارك أنجيلو، مفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد ضمن كتاب من إعداد تزفتان تودوروف، في أصول الخطاب النقدي الجديد، ترجمة وتقديم: أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987م، ص 103.

3- جوليا كريستيفا، علم النص، ص ص 78، 79.

مصطلحات عديدة تدور حول النص مثل: خارج النص (Extratexte)، النص الوصفي (Meta texte)، النص الموازي (Para texte) [1].

لقد شهدنا أنّ "باختين" يُقرُّ بالحوارية التي ترى ضرورة قراءة خطاب الآخر وخطاب الأنا، وتشير إلى مفهوم التفاعل النصي وتعددية الأصوات، وكانت "كريستيفا" ترى النص إنتاجية وترحال للنصوص، وتداخل نصي بواسطة الامتصاص والتحويل عبر اللغة التي هي مادة اللسان.

أمّا "**رولان بارت**" فاستطاع أنْ يُطوِّر هذا المصطلح ويُعمِّقه وينقله من محور النص إلى القارئ لانفتاحه على آفاق و حقول ثقافية و مصادر لا نهائية، فهو يرى أنّ النص "جيولوجيا كتابات"[2]، أي أنّه يتكون من كتابات كثيرة، يتراكم بعضها فوق بعض، وهذه الكتابات ذات مصادر متنوعة تحتضن ثقافات متنوعة ومتداخلة، وأي نص هو نسيج من الاقتباسات تختزنها ذاكرة المبدع، «فالنسيج منسوج تمامًا من عدد من الاقتباسات ومن المراجع ومن الأصداء... فالتناصي (Intertexte) الذي يجد نفسه فيه كل نص ليس إلاّ تناصًا لنص آخر بأي أصل للنص البحث عن ينابيع عمل ما أو عمّا أثر فيه، فالاقتباسات التي يتكون منها نص ما مجهولة، عديمة السمة، ومع ذلك فهي مقروءة من قبل»[3].

فدعوة "بارت" هنا إلى فاعلية القراءة هو انتقال التناص من حالة المفرد إلى حالة التعدد أي (من ذاكرة النص وبنيته إلى ذاكرة القارئ)، لأنّ «الأنا لدى القارئ هي أيضًا

1- ينظر: جوليا كريستيفا، علم النص، ص 79.

2- نهلة فيصل الأحمد، التفاعل النصي، التناصية (النظرية والمنهج)، كتاب الرياض 104، مكتبة اليمامة الصحفية، (دط)، 1423هـ، ص 128.

3- محمد خير البقاعي، آفاق التناصية، المفهوم والمنظور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (دط)، 1998م، ص ص 17، 18.

مجموعة من النصوص، غير محددة وغير معروفة الأصول، فالذاتية –الأنا- يفهم منها أنها الكمال في فهم النص...» [1].

"فبارت" يقف في طرحه للتناص عند حدود إشكالية الكتابة، بل يتجاوزه إلى إطار جمالية التلقي، فالنص المتناص يتطلب وجود قارئ فطن، قادر على استحضار البنيات النصية الغائبة بما يملك من رصيد معرفي، و التمييز بين النصوص الأصلية عند قراءة نص معين، وذلك باستحضار النصوص الغائبة وإضاءة العلاقة بينهما وبين النص المتن «فالقارئ هو الفضاء الذي ترتسم فيه كل الاقتباسات التي تتألف منها الكتابة دون أن يضع أيّا منها أو يلحقه التلف، فليس وحدة النص في منبعه وأصله وإنما هي في مقصده واتجاهه»[2].

كما يرى "بارت" أنّ النص جهاز غير لساني، وعلامة مفتوحة على غيرها، لذلك اعتبر النص الذي يحدث القطيعة مع الماضي والمستقبل (نصًا بلا ظل) لأنّه مقطوع الصلة بالإيديولوجيا السائدة حتى توفرت أسطورة (المرأة التي لا ظل لها) كنص مؤسس (Sub texte) فإنّه ينفي ذلك بالنسبة للنص الأدبي، لأنّ هذا النص في حاجة دائمًا إلى ظله وهذا الظل قليل من الإيديولوجيا[3]. وهذا يعني أنّ كل نص ليس إلاّ نسيجًا من استشهادات سابقة.

1- رولان بارت، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال، المغرب، ط3، 1993م، ص 110.

2- نفسه، ص 87.

3- ينظر: رولان بارت، لذة النص، تر: فؤاد صفا وحسين سبحان، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1988م، ص 73.

لنخلص في موقف "بارت" أنه يعطي السلطة للقارئ الذي يمتلك ذائقة جمالية ويجمع في بوتقة الذّات كل المكونات التي تتألف الكتابة منها لأنّ الكتابة لم تعد موضعًا لتسجيل الأحداث أو مجالاً للتعبير، أو انعكاسًا وجدانيًا، فقد أصبحت حالة تمثل ذاتي قوامه من الركام الهائل المخزون من الإشارات والاقتباسات التي تعدّدت مصادرها، حيث يتحول التاريخ الموروث إلى نصوص متداخلة.

أمّا "**جيرار جينيت**" في كتابه "أطراس" 1982م، أنّه لا يمكن الكتابة إلاّ على آثار نصوص قديمة، وهذه العملية شبيهة عنده بعملية من يكتب على طرس، ويُوضح معنى كلمة طرس فيقول: «إنّه ورق صحيفة من جلد، يمحى ويكتب عليه نص آخر على آثار كتابة قديمة، لا يستطيع النص الجديد إخفاءها بصفة كاملة، بل تظل قابلة لتبيينها و وقراءتها تحته، فهو يقصد بهذا العنوان المستعار من حقل المعلوماتية مجموع نصوص تظهر دفعة واحدة على الشاشة، ولكنها صادرة عن فضاءات مختلفة للذاكرة»[1].

فقد عني عناية كبيرة بما أسماه (المتعاليات النصية في كتابه "معمار النص")، وهذا التعالي النصي يتضمن التداخل النصي بكل مستوياته، وقد يكون هذا التداخل وجودًا لغويًا من نصوص غائبة موظفة بشكل نسبي أو كامل أو عبارة عن استشهاد بالنص الآخر داخل قوسين من النص المقروء. وقد رصد مختلف التعالي النصي و حددها في خمسة أنماط هي المعمارية النصية و التناص والمتناص أو الميتناص، والتعلق النصي[2].

1- المختار حسني، من التناص إلى الأطراس، علامات في النقد الأدبي، النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية، ج25، المجلد السابع، سبتمبر 1997م، ص 178.

2- سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي (من أجل وعي جديد بالتراث)، ص 28.

وهكذا يتحول التناص عنده إلى نمط من أنماط التعالي النصي وتدخل هذه الأنماط فيما بينها وتتعدّد العلاقات التي تستوعبها وتجمعها، فنجد مثلاً معمارية النص تتشكل دائمًا عن طريق المحاكاة، ومثال على ذلك: "فرجيل" يحاكي "هوميروس" وينتج نصًا على غراره على صعيد الجنس الأدبي[1].

ومن خلال أنماط التعالي النصي ووظائفها نستنتج أنّ النقد المعاصر أصبح لا ينظر إلى النص الأدبي على أنّه حدث يحدث بشكل مثالي وفردي وإنما هو نتاج تفاعل العديد من الخطابات السابقة والمتزامنة، غير أنّ فكرة تداخل النصوص لا تعني في أي حال أنّ الكاتب أصبح مسلوب الإرادة، وأنّه ليس سوى آلة لتفريغ النصوص، إنّ هذا أبعد صور الحقيقة صدقًا على حالة الإبداع، والسر يكمن في طاقة الكلمة، فهي موروث رشيق الحركة من نص إلى آخر لها قدرة على الحركة أيضًا بين المدلولات بحيث أنها تغير هويتها ووجهها حسب ما هي فيه من سياق[2].

فالنّص ليس ذاتًا مستقلة أو مادة موحدة، بل سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى ونظامه اللغوي، حيث يتأسس هذا الأخير في رحم الماضي، وينبثق في الحاضر، ويُؤهّل نفسه للتداخل مع نصوص آتية في المستقبل.

ومن هنا نصل إلى أنّ جهود الشكلانيين الروس المتمثلة قد تمكنت في طرحها لتصورات نقدية حول النسق والتزامن والعلاقة من مقاربة مقولات التناص، وذلك باهتمامهم بالمبادلات الشكلية واللغوية بين الأعمال الأدبية والعلاقات بينها، ومن هؤلاء نجد "تودوروف" "Todorov" و"شكلوفسكي" "Cheklovexki" حيث يقولان: «إنّ العمل

1- سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي (من أجل وعي جديد بالتراث)، ص28.

2- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتفكير، ص 324.

الفني يدرك في علاقته بالأعمال الفنية الأخرى، بالاستناد إلى الترابطات التي نقيمها فيما بينها»[1].

نستنتج أنّه مهما كانت نوع العلاقات فإنّ النص اللاّحق دائمًا يختار النص السّابق ويتعلق به لمميزات وخصائص فيه يستثمرها في تشكيله الإبداعي الجديد.

فقانون تطور الحياة يقضي بأنْ يتأثر اللاّحق بالسابق وبأنْ يضيف جديدًا إلى ما جاء به السلف ولا يعيبه اعتماده في بناءه على ما بنى سابقه إنما يعيبه إذا قصر عن الإضافة وعجز عن أنْ يضع إنجازه الخاص، ويتجلى هذا ليس في ميدان الأدب والشعر وحدهما، وإنما في جميع مجالات الحياة.

5- أنواع التناص:

تعدّدت الآراء واختلفت من ناقد لآخر حول مصطلح التناص، حيث نجد أنواعه من: داخلي، خارجي، إلى مباشر وغير مباشر.

5-1- التناص الدّاخلي:

وهو حوار يتجلى في (توالد) النص و(تناسله) وتناقش فيه الكلمات المفاتيح أو المحاور، والجمل المنطلقات والأهداف، والحوارات المباشرة وغير المباشرة، فهو إعادة إنتاج سابق، في حدود من الحرية[2].

1- محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، الشعر المعاصر، ص 185.

2- محمد عزّام، النص الغائب، ص 32.

فهو تناص يكشف علاقة نصوص المؤلف بالمخزون الثقافي الذي ينتمي إليه ويشكل بنية، وفي هذا يقول "محمد مفتاح": «... فإنّه يجب موضعة نصه أو نصوصه مكانيًا في خريطة الثقافة التي ينتمي إليها، و زمانيًا في حيز تاريخي معين»[1].

كما يرى الباحثون أنّه: «... يتمثل في مجموعة العلاقات التي تربط نصًا معيناً بكوكبة من النصوص الأخرى تتميز هذه العلاقات بسمات متعدّدة ومتغايرة»[2].

5-2- التناص الخارجي:

وهو حوار بين نص ونصوص أخرى متعددة المصادر والوظائف والمستويات[3]، ففي هذا النّوع يتفاعل النص مع عدد كبير من النصوص ولا يرتبط بدراسة علاقة النص بعصر معين.

فقد تتسع دائرة التناص لتشمل كل ما تصل إليه مشاهدات المبدع، أو تختزنه ذاكرته عن العالم بتاريخه ومعتقداته، «فالمبدع يستفيد من تلك المعارف ليعيد إنتاجها، أو ليتخذها أساسًا لإبداعات جديدة التأليف»[4]، ويوصف بعدها بالانفتاح والقدرة على استيعاب النصوص الأخرى وبالآنهائية من جهة التفاعل والقراءة[5].

1- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص 125.

2- سليمان كاصد، علم النص، دراسة بيناوية في الأساليب، الدّار المصرية اللبنانية، القاهرة، (دط)، (دت)، ص 247.

3- محمد عزّام، النص الغائب، ص 32.

4- محمد مفتاح، المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1999م، ص 10.

5- ينظر: موسى ربابعة، التناص في نماذج من الشعر العربي الحديث، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، ط1، 2000م، ص 44.

حيث يتم هذا التناص بالوقوف على التفاعلات قديمها وحديثها، والتفاعل فيها يقوم على الاستيعاب والتحويل والنقد، فصلة القارئ بالنص تحدّدها طبيعة القراءة، وهذه الأخيرة لا يجسدّها إلا ثقافة العصر من المنطلق الذي يتم فيه التداخل بالمعنى التناصي أولاً، وبين القارئ وعصره.

وخلاصة هذا فالتناص الدّاخلي يحدث بين نصوص المؤلف نفسه كما قد يحدث مع مؤلفي عصره، أمّا الخارجي فهو تناص الشاعر مع نصوص أخرى لمؤلفين آخرين.

5-3- التناص المباشر:

وتتم العملية على هذا المستوى تناص حرفي للنصوص وهذا ما ورد عن نقاد العرب القدماء في قضايا النقد القديم (السرقة، الاقتباس، الاستدعاء)، والتي تدخل تحت هذا النوع من التناص.

وهذه العملية التناصية المتجلية في النص حيث تقوم على وعي من الكاتب فيتم فيها امتصاص وتحويل النصوص في خضم التفاعل النصي لإخراج النص الجديد ويعمد فيه الأديب أحيانًا إلى استحضار نصوص بلغتها ونصها، كالآيات القرآنية، والحديث النبوي الشريف، والشعر[1].

5-4- التناص غير المباشر:

ويُطلق على هذا النوع أيضًا التناص اللاشعوري أو تناص الخفاء، وقد يكون المؤلف غير واعٍ بحضور النص أو النصوص الأخرى في نصه الذي يكتبه،ويحتاج هذا التناص إلى ثقافة واسعة عند الباحث وإلى معرفة واطلاع واسعين، ويندرج تحت هذا

1- ينظر: محمد الجعافرة، التناص والتلقي، دراسات في الشعر العباسي، دار الكندي، الأردن، (دط)، 2003م، ص 15.

النوع: التلميح، الرمز، الإشارة، وهو عملية لا شعورية يقوم بها الأديب باستنتاجات مع النص المتداخل معه وإبراز أفكار معينة يوحي بها ويرمز إليها في نصه الجديد، وتعتمد هذه الأنماط على فهم الملتقي وتحليله للنص.

وقد تحدث عن هذا النوع من التناص الدكتور "محمد عزام" تحت عنوان "التناص الخارجي"، ويُعرِّفه قائلاً: «بأنّه حوار بين نص ونصوص أخرى متعددة المصادر والمستويات وعملية استشفاف التناص الخارجي (غير المباشر) ليست بالسهلة، وخاصة إذا كان النص مبنيًا بصفة حاذقة ولكنها مهما تسترت واختفت فلا تخفى على القارئ المطلع الذي بإمكانه إعادتها إلى مصادرها»[1].

وهذا النمط من التناص صعب على القارئ البسيط، فالتقاط هذا النوع من التناص من بين ثنايا هذا النص يجب أنْ يكون القارئ متمرسًا، وذو ثقافة واسعة حتى يستطيع الوصول إلى المصادر التي تناص معها الكاتب،ومن المصطلحات التي نجدها في هذا النوع(الاشارة التلميح، والتضمين...).

6- مجالات التناص:

لقد خاض مصطلح التناص عدة دراسات مختلفة من بينها:" التناص الأدبي، التاريخي، الأسطوري والديني...

1- محمد عزام، النص الغائب، ص 32.

6-1- التناص الأدبي:

وهو تداخل النص مع نصوص أدبية سواءً كانت للكاتب نفسه أو لأدباء آخرين مزامنين له أو سابقين له، وسواءً ينتمون إلى ثقافة أولا ينتمون لهذه الثقافة[1].

ويقول "أمل دنقل" في هذا البيت:

وَطَنِي لَوْ شَغَلْتُ بالخُلْدِ عَنْهُ * نَازَعَتْنِي لمَجلِسِ الَأمْنِ نَفْسي[2]

وفي المقابل يقول "أحمد شوقي":

وَطَنِي لَو شَغَلْتُ بالخُلْدِ عَنْهُ * نَازَعَتْنِي إليه في الخُلْدِ نَفْسِي[3]

فالأدب يعدّ خلاصة التجربة الشعورية والفكرية والحياتية لأي أمّة، تتناقله الأجيال جيلاً بعد جيل، فقد وجد الشاعر المعاصر كثيرًا من ملامح تجاربه في التراث الأدبي، فاستغل ذلك في التعبير عنها بصورة فنية من خلال تسليط الأضواء على الجوانب التراثية التي تخدم الفكرة أو القضية التي يُريد التعبير عنها، وهنا تكمن براعة المبدع وقوته[4].

6-2- التناص التاريخي:

وهو تداخل النص الأصلي مع نصوص تاريخية مختارة، حيث تبدو منسجمة لدى المبدع مع السياق الروائي وتؤدي عرضا فكريًا وفنيًا.

1- ينظر: محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ص 400.

2- أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، مطبعة مدبولي، القاهرة، ط2، 1985م، تذييل، ص 399.

3- أحمد شوقي، الشوقيات، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، (دط)، (دت)، ص 46.

4- حسن البنداري وآخرون، التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد 11، العدد 2، 2009م، ص 271.

حيث أنّ القارئ للنصوص الشعرية أو النثرية يجدها تتفاعل مع المادة التاريخية لا يؤسس نموذج بديل وإنما يفتح آفاقًا جديدة لتناص توالدي يمتزج فيه القديم والجديد ليقدم التناص لإشباع النفسي للقارئ[1].

6-3- التناص الأسطوري:

يعود استخدام الشاعر العربي للأساطير للعصر الجاهلي، حيث استخدم بعض الشعراء الجاهليين بعض الإشارات الأسطورية إلاّ أنها كانت عابرة لا تمثل منهجًا في توظيف الأسطورة[2].

وقد يلجأ إليها الشعراء لتحقيق أحلامهم والتعبير عن تطلعاتهم الفنية والفكرية وإثراء تجاربهم الشعرية.

6-4- التناص الديني:

وهو تداخل نص مع نصوص أخرى دينية معينة عن طريق الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم أو من الحديث النبوي الشريف، أو من الكتب السماوية المختلفة كالإنجيل والتوراة، ويعتبر القرآن كتاب المسلمين الأكبر ودستور البشرية الأعظم، كما يعتبر أوّل النصوص التي استأثرت بعناية الشاعر المعاصر باعتباره النص الذي يحمل من اللامحدود للحياة والإنسان[3] ويكون التناص في هذا النّوع كالتالي:

1- جمال مباركي، التناص وجماليته، نقلا عن: خيرة حمر العين، قراءة في قصيدة رمزية الماء في فضاءات لسامر سرحان، مجلة القصيدة، 1996م، ص 106.

2- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، المنشأة الشعبية للنشر، (دط)، (دت)، ص 179.

3- مصطفى السعدني، البينات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة، (دط)، (دت)، ص 283.

6-4-1- التناص مع القرآن الكريم:

باعتبار القرآن نصًا مقدسًا، ومصدرًا إعجازيًا، أحدث ثورة فنية على معظم التعابير التي ابتدعها العربي شعرًا ونثرًا، وقد سعى إليه –تقريبًا- كل الشعراء.

ومن النماذج التي استغلت النص القرآني استغلالاً فنيًا نجد المقطع التالي من قصيدة السياب "شناشيل ابنة الحلي":

تراقصت الفقائع وهي تفجر أنه الطرب
تساقط على يد العذراء وهي تهز في لهفة
بجذع النخلة الفرعاء تاج وليدك الأنهار لا الذهب
سيصلب منه حب الآخرين سيبرئ الأعمى
ويبعث من قرار البقر ميتًا هذا التعب
من السفر الطويل إلى ظلام الموت، يكسو
عظمة اللحم و يوقد قلبه الثلجي، فهو يحبه... [1]

والشاعر في هذه القصيدة يعيد كتابة النص القرآني الغائب يوظفه توظيفا فنيا بطريقة الامتصاص للآية الكريمة :﴿وَهُزِّي إِلِيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[2] .

ونجد أيضًا الشاعر "ابن الخلوف القسنطيني" في قصيدته "تحية المشتاق وتنجية الأشواق"، حيث يُحاول استحضار النص الحاضر للعثور على إيحاءات النص الغائب (القرآن الكريم)، يقول في بيت من هذه القصيدة:

1- بدر شاكر السّيّاب، الدّيوان، تح: ناجي علّوج، دار العوّة، بيروت، (دط)، 1971، ص ص 598، 599

2- سورة مريم، الآية 25.

أَضَلَنِي بِثَنَايَاه، ومِنْ عَجَبْ * إنّ النُجُوم بِهَا تُرْجى الهِدَيَان[1]

وهو تناص إشاري إلى الآية الكريمة: ﴿وعَلاَمَاتٍ بالنَجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[2]، وفي هذا التناص إيحاء بعلاقة الليل بالجمال عند العرب وما له من أبعاد ودلالات نفسية لتصوير المحبوب.

6-4-2- التناص مع الحديث:

ويعتبر الحديث النبوي الشريف الكتاب الثاني المقدس بعد القرآن الكريم من حيث إشراق العبارة وفصاحة اللفظ وبلاغة القول، وقد تفاوت هذا الاستعمال من شاعر لآخر ومن قصيدة لأخرى، لقول هذا الشاعر:

لأَنَّنَا كَمَا رَوَى نبيَنَا

لِفِرْقَةٍ تَدُبُ فِي أَوْصَالِنَا

نَضِيعُ في الزِّحَام

تَدُوسُنَا لِجَنِبْنَا الأَقْدَام

نَعِيشُ كَالأَيْتَام في مأْدَبِ اللِّئَامِ

لأَنَّنا لِضعْفِنَا غَثَاءُ

تَقَاذَفَتْ بِهِ الرِّيَاحُ في ...

يَسِيرُ دُونَ غَايَة... نَدُر فِي الظَّلاَمْ[3]

1-ابن الخلوف القسنطيني، ديوان الجني الجنتين، في مدح خير الفرقتين، تح: العربي دحوا، دار هومة، الجزائر، (دط)، 2004م، ص 316.

2- سورة النحل، الآية 16.

3- محمد ناصر، أغنيات النخيل، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دط)، 1981م، ص 59.

وهذه الأبيات تحلينا إلى حديث الرسول –صلى الله عليه وسلم- «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها قال: قلنا يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: أنتم يومئذٍ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السبيل، ينتزع المهابة من قلوب عدّوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن، قال: قلنا، وما الوهن؟ قال: حب الحياة وكراهية الموت»[1].

فالحديث يُشير إلى أنّ النصر لا يقاس بكثرة العدد أو قلته وإنما يُقاس بالكيفية والنّوعية.

6-4-3- التناص مع القصص والشخصيات القرآنية:

ويعتبر أنّ هذان الأخيران روافد الإبداع الفني لما فيه من متعة وإفادة وإغناء بالإشارة، وماله من دلالات عميقة، وبخاصة حين تصبح هذه القصص القرآنية قناعًا، ومعادلاً موضوعيًا للشعر، و نجد على سبيل المثال قول الشاعر "ابن الخلوف":

بِهَا لآدَمَ هِبْ العَفْوَ ورْتَفَعتْ * بِهَا لإِدْرِيسَ في العُلْيَا مَقَامَات[2]

وهو استدعاء مباشر لشخصتين البارزتين (آدم وإدريس) –عليها السلام- فكلمتي "آدم"، "العفو" تستدعي قصة آدم عليه السلام في الجنة حين عصا ربّه نتيجة للغفلة والسهو لقوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾[3].

1- مجلة دراسات الشعرية الجزائرية (عدد خاص)، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2006م، ص 46. نقلا عن: الإمام أحمد بن حنبل في السند من حديث ثوبان، مسند الأنصار، ج5، ص 278.

2- ابن الخلوف، الديوان، ص 325.

3- سورة طه، الآية 121.

فاستغفر لربّه لقوله تعالى: ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغفِرْ لَنَا وتَرْحَمْنَا لنَكُونَّنَ مِنَ الخَاسِرِين﴾[1].

وفقد استدعى الشاعر هذا التناص وفق تجربته الشعورية وإحساسه بالذنب جعلته يستدعي هذه القصة.

كما يتقاطع الشاعر مع نبي آخر وهو "إدريس" عليه السلام، وهو استدعاء للآية الكريمة: ﴿واذْكُر فِي الكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صدِّيقًا نبيًّا ورَفَعْنَاه مَكَانًا عَلِيًّا﴾[2].

1- سورة الأعراف، الآية 121.

2- سورة مريم، الآية 56.

الفصل الثاني

فن المقال وقضاياه عند البشير الإبراهيمي

1- فن المقال عند البشير الإبراهيمي.

1-1- مفهوم فن المقال.

1-1-1- لغــةً.

1-1-2- اصطلاحًا.

1-2- أنواع المقال عند البشير الإبراهيمي.

1-3- خصائص المقال عند البشير الإبراهيمي.

2- قضايا المقال عند البشير الإبراهيمي.

تمهيد:

إن من يعرف رجال الجزائر المُصلحين لن يغفل حتما عن معرفة إمام اللغة العربية وفارس البيان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الذي فنى عمره في مقاومة الظلم والظلامية فأنار دروب الضالين ونور أذهان الغافلين وذلك بمكافحة الاحتلال بسلاح اللغة والفكر الإصلاحي وخاصة فترة الاستعمار والحروب التي شهدتها الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي. فدخلت الجزائر حينها مرحلة قاتمة من الظلم والجبروت والوحشية وهذا ما جعل الجزائر تعاني من أوضاع مزرية على مختلف المستويات الاجتماعية السياسية الدينية والأدبية، وقد أدت هذه الأوضاع إلى انحصار الثقافة وتراجع العلم في الجزائر.

وباعتبار البشير عالما مصلحا بالدرجة الأولى فقد اعتبر الأدب وسيلة فنية لتبليغ رسالته الإصلاحية و تمثلت هذه الرسالة في فن المقال، لأنه الفن الأنجع والأنسب للتعبير عن عواطفه المتأججة وتفجير طاقاته الإبداعية، كما عني المقال بدراسة وعرض مختلف القضايا التي عان منها المجتمع الجزائري من اجتماعية دينية وسياسية.

وسنحاول من خلال هذه الدراسة أن نعرض فن المقال عند الإبراهيمي وأهم القضايا التي تناولها.

1- فن المقال عند البشير الإبراهيمي:

1-1- مفهوم فن المقال:

1-1-1- المقال: لغــةً.

إذا وقفنا عند المعاجم اللّغوية نجد "الفيروز أبادي" يذكر في مادة "قال": «القول الكلام أو كل لفظ ما دلّ به اللسان، والجمع أقوال وجمع الجمع أقاويل، أو القول في

الخير، والقال والقيل في الشر، أو القول مصدر والقول والقال اسمان له، أو قال قولاً وقيلاً وقولة، ومقالة ومقالاً فيهما»[1].

وفي حين جاء في لسان العرب: «قال يقول قولاً وقيلاً وقولةً ومقالاً ومقالةً» [2].

وجاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى الله﴾[3].

فالمعنى اللّغوي للمقال ينصرف إلى أنّها شيء يقال، واستخدم أيضًا لفظ مقالة بمعنى بحث في مسألة أو مذهب من المذاهب الدّينية، إذ يُقسّم الكتاب إلى مقالات، كلّ واحدة منها تعالج بحثًا دينيًا أو فلسفيًا أو علميًا[4].

ومن هنا نرى أنّ لفظة "مقالة" لم يستخدمها القدماء في المعنى الذي تستخدم فيه اليوم.

1-1-2- المقال: اصطلاحًا.

أمّا اصطلاحًا، يعدّ المقال نوعًا فكريًا تشكل الأحداث، والظواهر، والتطورات، ويتميز بمعالجة الموضوعات العامة والخاصة بقدر من الشّمولية والعمق، مستخدمًا

1- الفيروز آبادي (أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي)، القاموس المحيط، دار المعرفة، بيروت، ط4، 2009م، ص 1104.

2- ابن منظور، لسان العرب، م 12، مادة (ق و ل)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار صادر، بيروت، ط3، 2004م، ص 221.

3- سورة فُصلت، الآية 32.

4- شرف عبد العزيز، أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة، دار الجيل، بيروت، (دط)، 2000م، ص19.

أسلوب العرض والتحليل والاستنتاج، هادفاً إلى تقديم رؤية فكرية لهذه الأحداث والظواهر، والتطورات[1].

ويُعرّفها "أحمد أمين" في كتابه "النقد الأدبي" بقوله: «أمّا المقالة (Essey) فمن أهم صور النثر الأدبي وأمتعها، وهي إنشاء نثري قصير كامل يتناول موضوعًا واحدًا غالبًا ما كتبت بطريقة لا تخضع لنظام معين، بل تكتب حسب هوى الكاتب، ولذلك تسمح لشخصيته بالظهور والمقالة النموذجية تكون قصيرة، ولكن القصر ليس صفة ضرورية، فقد تكون المقالة طويلة والسر الأعظم فيها هي أنّها لا تخضع لنظام كما قلنا أو صورة محدودة في كتابتها بل تتبع هوى الكاتب وذوقه»[2].

وبذلك فالمقالة الأدبية مادتها المعرفة و هي نسيج فني يستمد عناصره من القصة أو الشعر أو المسرحية، ففيها يعالج الكاتب أفكاره محاورا أو واصفا أو محللا للنفسيات[3].

ونستنتج ممّا سبق أنّ المقالة لها أسلوبها ولغتها وخصائصها الخاصة بها التي تميّزها

عن غيرها من فنون النثر، حيث تعالج موضوعات مختلفة ولكن وفق رؤية الكاتب لها.

1-2- أنواع المقال:

1-2-1- المقال الأدبي: المقال الأدبي «تعبير فنّي صادق عن تجارب الكاتب الخاصة والرّواسب التي تتركها انعكاسات الحياة في نفسه، وهي في أحسن حالاتها ضرب من

1- جمال الجاسم المحمود، فن المقالة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 24، العدد الأول، 2008م، ص 445.

2- أحمد أمين، النقد الأدبي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج1، (دط)، 1952م، ص 99.

3-عبد العاطي شلبي، فنون الأدب، المكتب الجامعي الحديث، ط1، 2005م، ص ص56، 57.

الحديث الشخصي الأليف و الثرثرة و المسامرة و الاعتراف و البوح»[1] و إلى جانب هذا تمتاز بروعة المفاجأة وتوقد الذّكاء وتألّق الفكاهة، ولا تخلو من السخرية الناعمة أو الحادة، تبعًا لاتجاه الكاتب، وألوان شخصيته»[2].

فالمقال الأدبي يهدف إلى «أغراض جمالية، ويتوخى درجة عالية من جمال التعبير، كما يتوخاها الأديب الذي يرى الجمال غاية في ذاته، وغرضًا يسعى إلى تحقيقه»[3].

ومن أهم الخصائص التي يتميّز بها هذا النوع هي:

- التعبير عن وجهة نظر الكاتب الشّخصية باستهلال يجذب القارئ مع استعمال الصور التي تنقل المتلقي إلى عالم أرحب خيالاً وكذلك المحسنات البديعية التي تُضفي على المقالة رونقًا.

ومن هذا النّوع نجد:

1-2-2- المقال الاجتماعي:

يستهدف المقال الاجتماعي المشكلات التي يعيشها المجتمع كالآفات الاجتماعية، حيث «يبسط الكاتب أفكاره ليحل مشكلة اجتماعية، أو يعالج ظاهرة اجتماعية تهدد أمن

1- محمد يوسف نجم، فن المقالة، دار الثّقافة، بيروت، ط4، 1966، ص 102.

2- نفسه، ص 102.

3- عبد العزيز شرف، فن المقال الصحفي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (دط)، 2000م، ص 23.

المجتمع، كمشكلة الفقر، أو مشكلة الإسكان، ظاهرة البطالة، أو ظاهرة الهجرة للخارج... وغيرها من المشكلات التي تعوق تقدم المجتمع ورخاءه»[1].

أمّا جمعية العلماء المسلمين فقد خاضت صراعًا عنيفًا مع الاتجاهات الفكرية المناهضة لها مما أدى إلى تطوّر فن المقال وازدهاره، حيث أنّ فترة ما بعد تأسيس هذه الجمعية كانت «فترة ازدهار فن القضايا الأدبية في الجزائر»[2]، وفيما يخص موقفها اتجاه القضايا الاجتماعية فكان نابعًا من اهتمامها بالمسائل المرتبطة بالمجتمع الإنساني، ذلك الاهتمام النابع من اهتمام الفكر الإسلامي به، لأنّ «الإصلاح الاجتماعي هو الغرض الأسمى للإسلام»[3].

وهذا يعني أنّ العلاقة بين الإصلاح الديني والإصلاحي الاجتماعي هي علاقة تلازم، فلا يتم الأول إلاّ بوجود الثاني، وهذا ما يعبّر عنه "البشير الإبراهيمي"، إذ يقول: «إنّ الإصلاح الديني لا يتم إلاّ بالإصلاح الاجتماعي، ولهذا الارتباط بين القسمين فإنّ جمعية العلماء عملت منذ تكوينها في الإصلاحين المتلازمين»[4].

لهذا استطاع "الإبراهيمي" من خلال مقالاته التركيز على أهم القضايا الاجتماعية التي استدرجت فكرهم، كالدعوة إلى الوحدة والتكافل الاجتماعي، وقضايا الأسرة

1- صابر عبد الدائم، حسين علي محمد، فن المقالة، دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، ج1، (دط)، (دت)، ص 26. نقلاً عن: محمد العويني، المقالة في الأدب السعودي الحديث.

2- ينظر: عبد الملك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009م، ص 35.

3- محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ط2، ص 103.

4- الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم:أحمد طالب الإبراهيمي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1963م، ص 215.

ومشكلاتها، ونظرتهم إلى المرأة وقضاياها، التعليم، وقضايا الشباب... إلخ، وغيرها من القضايا الأخرى.

وعلى سبيل المثال مقال: "الدعوة إلى الوحدة والتكافل الاجتماعي"، فقد كان من أهم القضايا التي عالجها فن المقال نتيجة ما آل إليه المجتمع الجزائري من فساد وتمزّق وخلافات، بفعل تغذية السياسة الاستعمارية لهذه الخلافات «لأنّ الفرنسيين أرادوا أن يضربوا نقاط القوة في المقاومة الجزائرية لهم وفي مقدمتها الوحدة الوطنية»[1].

كما أشاد أدباء الجمعية –من خلال مقالاتهم- بفضائل الاتحاد على الأمم والشعوب مستمدين هذا وذاك من نصوص قرآنية تدعو إلى الوحدة ونبذ الخلافات كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾[2]، كذلك قوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[3].

والإسلام هنا في دعوته إلى توحيد الأفراد يسعى إلى إيصال المجتمعات الإسلامية إلى درجة من الوحدة والقوّة والتماسك[4].

1-2-3- المقال الدّيني:

وهنا يهتم صاحب المقالة بإبراز عاطفته الدّينية نحو أمر يمس العقيدة أو يتصل بالمجتمع، حيث يتم أسلوب هذه المقالة بالتّدفق نحو القيم الدينية والإخلاص لما تدفعه إليه.

1- أسعد السحرياني، مالك بن نبي مفكر إصلاحيًا، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط2، 1986م، ص34.

2- سورة الأنبياء، الآية 92.

3- سورة آل عمران، الآية 103.

4- منير حميد البياتي، النظم الإسلامية، دار النشر، عمان، الأردن، ط1، 1994م، ص 130.

ويرى الدكتوران "صابر عبد الدّايم" و"حسين علي محمد" أنّ المقالة الدينية والأسلوب في هذا النوع يستمد قوّته بالاقتباس من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وخطب الخلفاء الرّاشدين وكبار الأئمة[1].

وسبب تفرغ "الإبراهيمي" لهذا النوع من المقال هو تدخل الإدارة الفرنسية في شؤون الدين الإسلامي، فحاول إقحام فرنسا بأنّ هذا العمل المنافي لمبادئها التي عليها تأسست الدولة الفرنسية باطلٌ، فصال وجال من أجل تحرير الدّين من سيطرة الإدارة «التي كانت تعتبر إشرافها على الدّين الإسلامي (مسألة جوهرية) خرقت لأجلها دستورها الذي ينص على أنّ فرنسا لائكية»[2]. ولمّا كان لفرنسا عملاؤها الذين بهم تنفذ مخططاتها وما أدواتها إلاّ أولئك الأئمة الذي ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا، وأعطوا الدنية في دينهم... وهو ما أدّى بالإمام "الإبراهيمي" أنْ يُفتي بأنّ الصلاة ورائهم باطلة[3].

وقد عبّر "الإبراهيمي" عن هذا في كثير من مقالاته، نجد أمثال مقالة "الدّين مظلوم"، وقد حاول فيها "الإبراهيمي" إيقاظ الشعوب النائمة، وإحياء الضمير الغافل في نفوس المجتمع، حيث يقول: «والدين المظلوم في زماننا هو الإسلام في الجزائر، مظلوم من أهله، إذ لم يدافعوا عنه، ولم يأخذوا له بحقه من ظالمه...»[4].

ومن المقالات أيضًا التي تدخل في إطار الشّعائر التّعبدية التي يحتاج المسلم إلى معرفة معناها والحكمة منها وكيفية استغلالها لتجديد علاقة الفرد مع ربّه، (مقال دروس

1- صابر عبد الدايم، حسين علي محمد، فن المقالة دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، ص 26.
2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 28.
3- نفسه، ج2، ص 29.
4- نفسه، ج3، ص 138.

الوعظ في رمضان)، عيد الأضحى، أثر الصّوم في النفوس، معنى العيد، حكمة الصّوم في الإسلام.

وهذا البعض فقط فيما أبدع فيه قلم "الإبراهيمي" وعبقريته في شؤون وقضايا الإصلاح المختلفة في كتابه القيم الذي يعدّ وعاء لمقالاته.

1-2-4- المقال السياسي:

وهي تعالج الأحداث السياسية المحلية والقومية في ضوء التطورات السياسية العالمية، وتعبّر عن أمل الأمّة في استقرار سياسي مزهر[1].

ويتطلب المقال السياسي توعية خاصّة من العاطفة الوطنية الصادقة والمضمون الوطني الحماسي الذي من شأنه أن يستنهض الهمم، ويؤكد الرأي الذي يميل إليه كاتب المقالة ويدعو إلى الإصلاح السياسي ويشيد بالاستقرار السياسي[2].

وبالطبيعة لم يعرف تاريخ الأدب الجزائري أدبًا مقاليًا، فضح أسرار السياسة الاستعمارية و بطشها وقوض أركانها غير مقالات "الإبراهيمي" التي ظلت بلاء مقدرًا يهدم بنيانها ويشتت أنصارها[3].

وقد تجلى هذا التيار بوضوح في أدب "الإبراهيمي" المقالي، حيث تعددت هذه المقالات في معالجة القضايا المختلفة تهم حياة الجزائريين وهم يعانون من تنكيل

1- صابر عبد الدايم، حسين علي محمد، فن المقالة، ص 31.

2- عبد اللطيف السيد الحديدي، فن المقال في ضوء النقد الأدبي، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، ط3، مصر، 2003م، ص 39.

3- محمد عباس، الإبراهيمي أديبًا، ديوان المطبوعات الجامعية، دار الفجر، (دط)، (دت)، وهران، الجزائر، ص 141.

الاستعمار، ومن بين هذه المقالات نجد: (ذكرى 8 ماي)، (أضعنا فلسطين)، (الاستعمار) وغيرها من المقالات الأخرى.

وقد كان هدف "الإبراهيمي"في كتابته لهذه المقالات –في هذا المجال- هو إيصال صوت الشعوب المظلومة في مناجاة تغالب الآهات على أرض الجزائر، هذا الصوت البغيض الذي يقول عنه "الإبراهيمي" في إحدى مقالاته «جاء الاستعمار الفرنسي إلى هذا الوطن، كما تَجيء الأمراض الوافدة، تحمل الموت وأسباب الموت»[1].

كما يُصور "الإبراهيمي" حالة المجتمع الجزائري بعدما دخل عليه الاستعمار الفرنسي حيث سلبه الأمن والسلم وحلّ محلّه الحرب والجوع والخوف، حيث يقول: «أمّة كالأمم حلّت بها ويلات الحرب كما حلّت بغيرها، وضاقت لباس الجوع والعري والخوف...»[2].

1-2-5- المقال الإصلاحي:

يندرج المقال الإصلاحي ضمن المقال الأدبي الذي يعنى بالقضايا الاجتماعية والسياسية والدينية، يظهر فيه الكاتب رأيه الخاص في الموضوع المتناول بهدف إيقاظ وعي الجماهير.

وقد دفعت الظروف العصيبة التي كانت تعيشها الشعوب العربية تحت وطأة الاحتلال الأدباء والمفكرين الإصلاحيين العرب إلى الكتابة في الصحف، والانحراف في هذه المهمة المصيرية، وكانت مقالاتهم شديدة الحماسة، دافئة العاطفة، قوية اللّهجة، مشبّعة

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 38.

2- نفسه، ج3، ص 322.

بالإيمان الصحيح بالمبدأ الإصلاحي، فكانت تعمل عملها في القلوب وتُؤتي أُكلها الطيب في الإبّان المطلوب[1].

أمّا المقال الإصلاحي بالنسبة "للإبراهيمي" فيتبوأ مكانة مرموقة ضمن أنواع المقال، وهذا راجع إلى مقدرته الفذّة في بلورة الرأي العام، وذلك من خلال مقالاته المتنوعة السابقة الذكر، اجتماعية، سياسية، دينية،... إلخ وقد جعل الإبراهيمي من هذا الفن وسيلة لإصلاح أوضاع المجتمع المتدهورة

1-3- خصائص المقال عند الإبراهيمي:

من أهم خصائصه نجد:

* أنّه يعكس شخصية "الإبراهيمي" المفكر الرّصين، صاحب النظرة الثاقبة والفكرة الصائبة والصورة الصادقة، يُلامس الواقع بمرارة ويصبه في مقالاته بحرارة توصل لهيبها إلى القارئ، فيندرج في واقعها ويعتنق أفكارها.

* مقالاته منظمة مرتبة، إذ نجد لكل مقال عنوانا يناسبه، تعرض عرضًا متسلسلاً، مقدمة، عرض، خاتمة، فضلاً عن تقسيم الموضوع إلى فقرات تيسّر على القارئ متابعة الفكرة والإحاطة بأجزائها[2].

* اعتماد الإبراهيمي على السخرية في مقاله باعتبارها هدم لواقع يراه مريرا يجب نقده ومن ثم بناء واقع بديل، يراه أصلح وقد وظفها الإبراهيمي لا لغاية الإضحاك وإنما للتغيير بأسلوب لاذع حيث جاء في هذا المعنى «والحق أن السخرية لا تختلف كثيرا عن العنف،

1- عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، 1931-1945م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)، 1983م، ص 151.

2- محمد مهداوي، البشير الإبراهيمي، نضاله وأدبه، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1988م، ص139.

لأن استخدام سلاح السخرية في الأدب ضرب من العنف. فإنما العنف وقص الخصم بقضائف من الكلام، وقصم ظهره بسهام من القول، في حين أن السخرية تهكم معنوي شديد اللذع، ثقيل الوطء، عنيف الوقع»[1]. وقد برع الإبراهيمي في هذا الأسلوب في مقالاته كونه ذا شخصية قوية تجيش بعواطف الغيرة على مقومات الأمة، و تفيض ببغض الاحتلال و عملائه الدائرين في فلكه. ومن أمثلة ذلك نجد مقاله بعنوان: (عبد الحي الكتاني ما هو وما شأن؟) والذي بدأ سخريته بدون مقدمات إذ استعمل أداة الاستفهام (ما) لغير العاقل، بدلا من (من هو؟)، يعرض بهذه الشخصية المثيرة للجدل فيذمه من خلال اسمه رغم أنّه من خير الأسماء ويقسمه إلى جزأين قبيحين في اللغة أولهما (عبد) بمعنى العبودية والذل، وثانيهما (الحي) ويقصد به المكان، فصار هذا الاسم مدعاة للسخرية فهو عند الكاتب عير الحيّ والعير هو الحمار الذي يحمل الأسفار ويساق بالضرب.

* تتميز أيضا مقالات الإبراهيمي بالأسلوب القصصي فمعظم القضايا التي عالجها تتحدث عن قصص عاشها في الواقع المرير، كقصة الاحتلال، وقصة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،و التعليم العربي، وقصة فصل الدين عن الحكومة ... وكل ما كتبه يحمل في طياته أسلوب السرد القصصي، من وصف الشخصيات، وحكي الأحداث، ولكن مع كل هذا فالإبراهيمي «لم يستخدم القصة على نحو ما يستخدمها أصحابها اليوم... لأنّ هناك تناقضات أساسيّة بين عقلية الإبراهيمي و بين (عقلية القصة) إن صح هذا التعبير...

1- عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص 384.

فالإبراهيمي متأثر أشدّ التأثر بثقافته الإسلاميّة، و أسلوبه وليد هذه الثقافة و الثقافة الإسلامية في هذا النحو لا تقوم على التخيل كما تقوم القصة»[1].

ومن هنا نرى أنّ ما كتبه الإبراهيمي ليس قصصا بل مقالات، و امتزجت بروح القصة بسبب ثقافته العربية المستمدة من التراث.حيث تعتمد مقالاته على «الوضوح أكثر من التلويح و الرمز، وتتحدث عن كلّ لا عن شريحة، و عن أمّة لا عن فرد، وعن أفكار ومقومات لا عن مشاعر، وتنهض على الحقيقة لا عن التّخيّل»[2].

حين نقرأ مقالات الإبراهيمي نكتشف لغة قوية عميقة الدلالة، ذات ألفاظ دقيقة، تراعي الموضوع المتناول. فنجده يكتب في المقال الاجتماعي بلغة تختلف عن لغة المقال السياسي مثلا، وتخوض مقالاته مواضيع متشعبة بلغة راقية تجعل القارئ يحسّ بأنه أمام موسوعة أدبية من طراز رفيع يرتقي إلى مصاف كبار الأدباء و الإصلاحيين. ونستشف في مقالات الإبراهيمي جزالة الألفاظ و قوتها و تناسق العبارات و تجانسها وتآلفها وكرم المعاني و علوها وتألقها و أصالة اللغة و فصاحتها و فخامتها.

* يستعمل أيضا الإبراهيمي ألفاظا تتراوح بين عربيّة أصيلة و أجنبية دخيلة فرضت نفسها بسبب الواقع الثقافي السائد تحت سلطة الاحتلال، فنجد من خلال مقالاته السياسية يكثر من استعمال مصطلحي اللائكيّة (laicite) والديمقراطيّة (democratie)، فنجده يفضح نفاق الاحتلال في ادعائه تبني اللائكية والديمقراطية، وفي المجال الإداري استعمال كلمة دوسي(dossier) و(service)...وقد وظّف هذه الألفاظ على مختلف المجالات الاجتماعي، والديني والأمني و الإعلامي...الخ.

1- شكري فيصل، قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي، مجلة الثقافة، دار الأمة، عدد 87، 1985، ص211.

2- نفسه، ص ص 211، 212.

فمقالة الإبراهيمي قالبا نثريا عالج فيها صاحبها شؤون المجتمع و أضراره الخفية، و السلوكية و التي تمس محيط الكاتب، و قضايا عصره المختلفة. فيتفاعل معها على قدر انفعاله و تجربته بالموضوع و بالحدث، لأنّ من خصائص المقالة أنّها تعبر عن تجربة تمثل انفعالات و إحساسات في نفسية الكاتب.

2- قضايا المقال عند الإبراهيمي:

الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي" شخصية دينية وطنية كان لها أثرها البالغ في تاريخ الجزائر إبان الثورة التحريرية خاصة، ودورها المرموق في العالم الإسلامي بخاصة، فدرس وعالج مختلف الجوانب التي كان يعيشها الشعب الجزائري –خاصة- من اجتماعية، سياسية، دينية...

2-1- القضايا الاجتماعية:

ربط العلاّمة "محمد البشير الإبراهيمي" هذا المجال بالمجال الديني وجعلهما سببًا في إصلاح المجتمع الجزائري، لهذا حثّ أدباء جمعية العلماء الأخذ بهذا المبدأ لما يتركه من آثار إيجابية على المجتمع، كما دعوا إلى إشاعة مشاعر الأخوة والألفة والإيثار بين شرائح المجتمع والتضامن بينهم «فإذا ارتقت النفوس في المجتمع إلى مستوى المحبة هذه تلاقت والتفت، وإذا تلاقت النفوس والتفت كان كل واحد للآخر كالبنيان المرصوص، يشد بعضه ببعض، وهذا من أسباب وحدة المجتمع وتماسكه وقوته»[1].

1- منير حميد البياتي، النظم الإسلامية، ص 129.

ومن بين القضايا الاجتماعية التي عالجها "البشير الإبراهيمي" نجد:

2-1-1- الأسرة ومشكلاتها:

وتعدّ هذه الأخيرة وسطًا طبيعيًا واجتماعيًا للإنسان، ونواة أساسية لتكوين أيّ مجتمع من المجتمعات، مثلها مثل القلب في جسم الإنسان، إنْ صلحت صلح المجتمع وإنْ فسدت فسد المجتمع[1]، وهي من هذا المنظور المعهد الاجتماعي للتيار الإنساني للفرد، والسلوك الذي يتعلمه الفرد داخل الأسرة، يصبح النموذج أو الطراز المطلوب لسلوكه التصرفي في القطاعات الأخرى في المجتمع[2].

وفي هذا الإطار تحدث الإبراهيمي عن موضوع الزواج في خضم معالجته للقضايا والمشاكل الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع الجزائري، لافتًا بذلك أنظار المصلحين الاجتماعيين إليه كظاهرة لها أهميتها، داعي إيّاهم إلى عدم إغفالها والسكوت عنها ، إذْ يقول في هذا: «تعاني الأمّة الجزائرية عدّة مشاكل اجتماعية لا يستطيع المصلحون إغفالها ولا السكوت عليها بعد ظهور آثارها وتحقق أضرارها، وستعالج (البصائر) طائفة من أمهاتها، وبتبيان نتائجها، وبيان وجهة الرأي في علاجها، سائلة جملة الأقلام، وجملة الألسنة وذي الرأي أن يظهروها في هذا العلاج»[3].

ومن خلال مقال «الشبان والزواج» للإبراهيمي لاحظ رجال جمعية العلماء أن الزواج بالنسبة للشباب الذين يفوق سنهم الثلاثين ، ظاهرة خطيرة لما يترتب عنها من آثار سلبية تهدد كيان المجتمع الجزائري، ويقول في هذا "البشير الإبراهيمي": «أعضل هذه

1- كمال عجالي، الطيب العقبي أدبيا، رسالة دكتوراه الدولة في الأدب الحديث، جامعة قسنطينة، معهد اللغة والأدب العربي، 1997، 1998م، ص 362.

2- منير حميد البياني، النظم الإسلامية، ص 364.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 323.

المشاكل وأعمقها أثرًا في حياة الأمة، وأبعدها تأثيرًا في تكوينها مشكلة الزواج بالنسبة إلى الشبان، فالواقع المشهود أنّ الكثير من شبابنا ... وهم أملنا وورثة خصائصنا يعرضون عن الزواج إلى أن يبلغ الواحد منهم سن الثلاثين فما فوق»[1].

ولهذا فقد دعا أدباء جمعية العلماء الشباب الجزائري إلى التعجيل بالزواج لأن الزواج المبكر صنيع حميد يحبذه الإسلام ويشجع عليه، فقد أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنّه أغَضُّ للبصرِ وأحْصَنُ للفَرجِ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنّه له وِجَاْء»[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

ولذلك عدّ الإسلام الزواج سكنًا روحيًا وسبيلاً للمودّة والرحمة بين الزوجين واعتبره "الإبراهيمي" من أعضل المشاكل وأعمقها أثرًا على الإطلاق في حياة الأمّة، وأبعدها تأثيرًا على المجتمع العربي.

ويحاول "الإبراهيمي" معالجة هذه الظاهرة وذلك من خلال الحرص على توعية الرجل بضرورة الارتباط بالمرأة الصالحة التي تدفعه نحو الأمام بأخلاقها، ويحذره من الزواج بتلك التي تفرض عليه عادتها السيئة وأخلاقها المنحطة، ويؤيده في ذلك "مالك بن نبي" في قوله: «يجب علينا أنْ نعيد إلى المرأة الكرامة التي وهبها لها الإسلام عندما

1- ينظر: الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3 ، ص 323.

2- أبو الطيب صديق بن حسن خان الحسيني القنوحي البخاري، السراج الوهاج، صحيح مسلم بن الحجاج، حققه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، نشر وزارة الشؤون الدينية، قطر، ج5، 1984م، ص130.

3- سورة النساء، الآية 21.

أنقذها من عادات الجاهلية القاسية، ولكن فلنعد لها كرامتها لنجعل منها السيدة التي توحي إلى الرجل العواطف الشريفة، لا الفارسة التي تسيطر عليه»[1].

2-1-2- المرأة والتعليم:

انطلق أدباء جمعية العلماء من واقع المجتمع الجزائري المزري ليصوروا تلك العادات والتقاليد البالية التي كانت تتسم بالقسوة والتشدد في تعليم المرأة، ونظرًا لتلك الأحكام والأفكار الخاطئة التي شاعت ورسخت في الأذهان وقتئذٍ، سارت حركة تعليم المرأة ببطء كبير في الجزائر، «ومن هذا المنطلق الواقعي لوضعية تعليم المرأة في المجتمع الجزائري، بذل أدباء جمعية العلماء المسلمين جهودًا جبَّارة في النضال من أجل تعليم المرأة الجزائرية تعليمًا عربيًا إسلاميًا، وإخراجها من براثين الجهل والأمية التي كانت تتخبط فيها، فهي بذلك دعوة إلى التعليم للنهوض بالمرأة لا دعوة إلى تحريرها بالمفهوم الحديث»[2].

وقد واجه أدباء الجمعية في بداية دعوتهم الإصلاحية لوضعية المرأة صعوبات جمّة وانتقادات لاذعة من لدن المحافظين الذين اتهموا الجمعية وصحافتها بإفساد المرأة، فدعا "العقبي" جهرة إلى تعليم الفتاة في ظروف كانت فيه مثل هذه الأفكار، فقال في سلسلة (يقولون وأقول): «يقولون عندما أقول لهم علموا بناتكم وأّدبوهن على حسب ما تقتضيه الشريعة الإسلامية حتى يتمكن لأزواجهن أنْ يعيشوا معهن عيشة راضية ويحيوا جميعًا حياة طيبة، إنّ بقاءهن على هذه الحالة خير لنا ولهنّ وأنا أقول لهم وأعتقد صحة ما أقول:

ما حياة المرء مع * زوج له ليست أديبة

1- مالك بن نبي، في مهب المعركة، مطبعة دار الجهاد، القاهرة، (دط)، 1972م، ص 131.

2- أنيسة بركات درار، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 20.

غير سجن أبدي * عظمت فيه المصيبة»[1]

وكان "الشيخ الإبراهيمي" يرى أنّ الخطوة الأولى لتحرير المرأة الجزائرية هو تعليمها تعليمًا دينيًا ووطنيًا، كما اعتبر أنّ الحجاب لا يقف عائقًا أمام تطوّرها، وهذا ما ذهب إليه الشيخ "عبد الحميد بن باديس" أيضًا، إذْ يقول: «إذا أردتم إصلاحها –المرأة- .... فإنّ حجاب الجهل الذي أخرها، وأمّا حجاب الستر فإنّه ما ضرّها في زمان تقدّمها»[2]، وإذا كان "الإبراهيمي" يدعوا إلى ضرورة تعليم المرأة فإنّه «يشترط أنْ يقوم هذا التعليم على أساس من المثل الدينية والقومية والأخلاقية، فيكون تعليمًا إسلاميًا قويًّا قائمًا بفضيلته»[3].

كما أشار أدباء جمعية العلماء المسلمين إلى فضائل على المرأة وعلى الأسرة، وعلى المجتمع باعتبار أنّ المرأة مدرسة إذا أعدّت أعدّت جيل صالح، ولقد استطاع هذا العلاّمة –الإبراهيمي- أن ينهض بالمرأة الجزائرية وبفضل جهوده ارتفعت نسبة تعليم النساء الجزائريات.

إضافة إلى هذا أكّد "الإبراهيمي" على ضرورة تعليم المرأة وفق المعالم الدينية أمر نابع من قناعته بأنّ الدّين الإسلامي قد كرّمها وعزّزها وفك قيدها، فقد كانت ضمن العالم تحظى «بمنزلة بين الحيوانية بل هي إلى الحيوانية أقرب، تتحكم فيها أهواء الرّجال وتتصرف فيها الاعتبارات العادية المجردة من العقل، فهي حين متاع يتخطف، وهي تارة

1- كمال عجالي، الطيب العقبي أديبًا، ص 368.

2- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دط)، 1985م، ص 232.

3- عقيلة صخري، فن المقال عند محمد البشير الإبراهيمي، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير في الأدب العربي الحديث، جامعة عين شمس، جمهورية مصر العربية، 1990م، ص 194.

كرة تتلقف»[1]. فقد كانت مجرد وسيلة للنسل وتلبية الشهوات، واستمرت على هذه الحالة المزرية إلى أنْ «جاء الإسلام فنبّه إلى منزلتها وشرفها وكرّم جنسها، وأعطاها كل ما يُناسب قوتها العقلية وتركيبها الجسمي، وسوى بينها وبين الرجل من التكاليف الدينية، وخاطبها بذلك استقلالا وتشريفًا لها، وإبرازا لشخصيتها»[2].

فالإبراهيمي اهتم بقضية المرأة اهتمامًا بالغًا، وذلك وعيًا منه بدورها الفعّال في بناء مجتمع متحضر، قوامه الأخلاق الفاضلة، وعماده التعاون المتكامل بين الرجل والمرأة في شتى المجالات.

فقضايا الإبراهيمي لا تعد ولا تُحصى في هذا المجال والتي عرضها من خلال مقالاته أمثال: التعاون الاجتماعي، الطلاق، وأعراس الشيطان، والصداق، وهل له حدّ؟...الخ.

2-2- القضايا السياسية:

حيث اعتبره "الإبراهيمي" المجال الأوسع في حياة الأمّة، لأنّه يضمن حقوق شعبها، ويؤكد هويتها الوطنية ويُدافع عن كرامتها وعرضها واستمراريتها في الحياة، وقد تجلى بكثرة في كتاباته ، منها:

2-2-1- الثورة الجزائرية:

إنّ واقع الجزائر المرير الذي كان يفرضه الاستعمار في شتى الميادين جعل الإبراهيمي يضاعف من مجهوده في نشر الوعي بين شعبه، فقاموا بالدعوة إلى الوعي

1- الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 360.

2- نفسه، ج4، ص 360.

السياسي والقومي، لأنهم أدركوا أنّ الثورة هي بداية اليقظة والفاصل التّاريخي بين فترة التّردد وفترة القتال[1].

فانفجر بركان الثورة مُدويًا في كل أنحاء الوطن حاملاً معه آمال كل الجزائريين في التّحرر من القيد الفرنسي «لأنّ فرنسا لا تفهم إلاّ هذه اللّغة ولا يفتح آذانها إلاّ هذا الصوت»[2].

ومن مواقفه أيضًا نجد موقفه الصريح خلال المؤتمر الإسلامي عام 1936م في رفض الإدماج والاكتفاء بالإلحاق فقط مع محافظة الجزائر على شخصيتها الوطنية، ورفضه الصريح تأييد فرنسا عشية الحرب العالمية الثانية، مما سبب في نفيه عام 1945م إلى آفلو، حيث عانى الأمرين[3].

كما أكّد "الإبراهيمي" أنّ نجاح الثورة يتوقف على تحقيق ثلاثة أشياء «الإطالة، التعميم، والسلاح، حيث أنّها بهذه الثلاثة نجحت كلّ الثورات التي وقعت في العصور القريبة على الاستعمار»[4].

فقد اتّضح أنّ "الإبراهيمي" لم يكن زعيمًا عربيًا وإسلاميًا فحسب بل كان وطنيًا جزائريًا، وذلك بحكم نشاطه وإسهامه الواسع على هذا الصعيد سواءً على المستوى الدّاخلي أو الخارجي، حيث قال أحدهم عام 1962م: «إننا نستطيع أن نكتب دون خطأ بأنّ الجزائر المستقلة بوصفها مجموعة وطنية عربية إسلامية تعتبر من بعض الوجوه من

1- نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1981م، ص 319.

2- محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، دار الأمة، الجزائر، (دط)، 2007، ص 29.

3- نفسه ، ص 102، 103.

4- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 65.

عمل هؤلاء العلماء الذين ما فتئوا منذ ثلاثين سنة وعبر عشرات المدارس منبثة في كامل التراب الذي كان يشكل ثلاث محافظات فرنسية، يعملون ويؤكدون رغم المضايقات البوليسية والمصاعب الإدارية أنّ الجزائر أمّة عربية وإسلامية»[1]، هذا على المستوى الدّاخلي كما نجد جهود "الإبراهيمي" على المستوى الخارجي وذلك من خلال توفير السند للثورة انطلاقًا من القاهرة، التي كانت مقرًا للجامعة العربية ومركز لنشاط الزعماء العرب، فاتصل بأمين عام الجامعة العربية ومساعدوه و"بمحمد ابن عبد الكريم الخطابي" وجماعة الإخوان، وبالرئيس المصري حيث زار "الإبراهيمي على رأس وفد للجمعية ضمّ "الورتيلاني" و"أحمد بوشمال عبد الناصر"، وطلب منه دعم الثورة الجزائرية بالمال والسلاح، وتلقى منه إجابة صريحة بأنّ مصر على استعداد تام لذلك، وهو ما جعل "الإبراهيمي" يرسل له برقية شكر وامتنان على هذا الموقف خلال نوفمبر 1954م[2].

وهكذا كان "الإبراهيمي" المعروف باتجاهه الثوري، وقف موقفًا مشرفًا في دعم الثورة التحريرية وكيفية نجاحها سواءً على المستوى الدّاخلي أو الخارجي.

إلى جانب هذه القضايا الدّاخلية التي تخص الوطن هناك قضايا خارجية (خارج الوطن) وقد ساهم فيها "الإبراهيمي" مساهمة كبيرة.

1- محمد الميلي، ذكريات ومن البراءة، دار القصبة للنشر، الجزائر، (دط)، 2012م، ص ص 405-406.

2- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 31.

ومن أهم هذه القضايا نجد:

2-2-2- القضية الفلسطينية:

وتعتبر هذه الأخيرة من أكبر القضايا التي شغلت العالم العربي و"الإبراهيمي" خاصة لأنها الوحيدة التي لا تخبوا نارها ولا تذوب آثارها، ولكنها تتجدد مع الأيام، ويستمر زخمها صاعدًا مع الزمن، يزداد توهجًا كلما قدمت[1].

ولأنّ "الإبراهيمي" عانى من ويلات الاستعمار ودماره منذ نشوبه فإنّه كان أعلم من غيره بأهدافه ومراميه، مما جعله يشارك إخوانه في سائر الأقطار العربية التي تعيش أحلك الفترات مع الجزائر، وكانت فلسطين أكبر دليل على ذلك باعتبار أنّ الأمر لا يتعلق بالحرية كمصطلح ضروري لكرامة أي فرد في الوجود فحسب، بل أنّ الأمر يتعلق بضمير الإنسانية جمعاء، وهذا ما جعلها القضية الأبرز في العالم تحكي مأساة شعب حُرم وهتك حقه، وشنع بأبشع الشنائع، ويقول في هذا الصدد "محسن محمد صالح" عن القضية الفلسطينية، ثلاثة جوانب تجعل منها القضية الأبرز:

- **الجانب الأول**: طبيعة الأرض بقدسيتها وبركتها ومركزيتها في قلوب المسلمين.

- **الجانب الثاني**: طبيعة العدو وبإدعاءاته العقائدية والتّاريخية وبروحه الاحتلالية التوسعية التي تسعى لطرد شعب فلسطين وإلغاء حقوقه الأصلية في أرضه ومقدساته.

- **الجانب الثالث**: طبيعة التحالف الغربي الصهيوني الذي هدف أساسًا إلى تمزيق الأمّة الإسلامية وإضعافها وإبقائها مفككة الأوصال[2].

1- عبد الله الركيبي، فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الجزائر، (دط)، (دت)، ص 07.

2- محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مركز الزيتونة، بيروت، (دط)، 2012م، ص 09.

ولأنّ "الإبراهيمي" ذو الكلمة البليغة والأسلوب السلس يوزع في السامع من التأثير الكبير أنّ مساعدة فلسطين فريضة والفريضة يعاقب من لم يقم بها، حيث يقول في هذا: «إعانة فلسطين فريضة مؤكدة على كلّ عربي وعلى كلّ مسلم فمن قام به أدّى ما عليه من حق العروبة والإسلامية، ومن لم يُؤدّه فهو دين في ذمّته لا يبرأ إلا بأدائه، ومن سبق فله فضيلة السبق، ومن تأخر شفعت له المعاذير القائمة حتى تزول»[1].

فيواصل "الإبراهيمي" تأكيده أنّ فلسطين هي الوطن الأم لكافة العرب وآبائهم وأجدادهم، وليست بلد الفلسطينيين فقط، فيقول في هذا: «أيّها العرب! إنّ قضية فلسطين محنة امتحن الله بها ضمائركم وهممكم وأموالكم ووجهاتكم، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم وإنما هي للعرب كلّهم...» [2].

"فالإبراهيمي" قد أكّد بالأدلة والبراهين أنّ فلسطين هي ملك للعرب والمسلمين وأنهم أحق بها من أي جنس على وجه الكون، ويهدم بالمقابل دعوة الصهاينة في صهونية فلسطين ودليل ذلك أنّ العرب استقر فيها أكثر من اليهود، وتمكن فيها الإسلام أكثر مما تمكنت اليهود وغلب عليها القرآن، أكثر مما غلبت التوراة وسادت فيها العربية أكثر مما سادت العبرية[3].

ولم يتوقف قلم "الإبراهيمي" هنا بل زاد لهيبًا حول فلسطين حتى استطاع أنْ يوصل لهيب القضية إلى النفوس فأيقظ فيها الضمير العربي وأزال غشاوة البصيرة في العديد من المواقف وذلك من خلال تجسيد أفكاره وبأسلوب مؤثر وعميق.

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 209.

2- نفسه ، ج3، ص 438.

3- ينظر: الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 429.

2-3- القضايا الدّينية:

يعتبر "الإبراهيمي" مثلاً فريدًا من الأئمة الأفذاذ الذين يبعثهم الله عزّ وجلّ للأمة في أحوج الأوقات، ليحدّدوا لها دينها، وينفخوا فيها من روح الله ويُؤسسوا لها نهضتها، ولذلك فقد سعى إلى إحداث تغيرات مختلفة على المجال الدّيني وذلك من خلال:

2-3-1- الرّجوع إلى القرآن والسنة الصحيحة:

وتذكرنا بالطريقة التي تناولها "ابن باديس" في الدّرس العقدي، وهي الطريقة التي تتناول أصول العقائد الإسلامية وأدلتها من القرآن على الطريقة السلفية[1]، التي تعني تجاوز المجادلات في علم الكلام، وما تراكم عبر العصور من خلافات في التفسير، وأنْ يرجع إلى الأصل الذي انطلقت منه الدّعوة الإسلامية أي إلى الوحي القرآني وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وعلى هذه الفكرة اتخذتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منهاجًا لها، وبنت عليها مبادئها ومنهاجها في الإصلاح الديني.

ويدعوا "الإبراهيمي" في هذا إلى وجوب العودة للقرآن والاهتداء بهديه، والعمل بمبادئه والاحتكام إليه، فهو عنوان وحدة المسلمين وسرّ تقدّمهم وعلو كعبهم في القرون الأولى، وفي هذا المعنى يقول: «لقد كان علماء السّلف يرجعون في كل شأن من شؤون الدّين إلى القرآن»[2].

فقد كانوا يحكمون القرآن في كل شيء، والحقيقة أنّ عظمة ما جاء به نبي الهدى تكمن في معرفة ذلك التّاريخ الكامل للبشرية قبل الإسلام بجميع أجناسها ولغاتها وعاداتها،

1- عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلامية، مقدمة العلاّمة البشير الإبراهيمي، ط2، الجزائر، مكتبة الشركة الجزائرية، 1966م، ص 15.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 63.

ثم ربطها بالمرحلة التي انتقلت إليها البشرية بعد الإسلام «حينما زحف أبناء الجزيرة على الشرق والغرب يحملون هدي الإسلام وعدله وميزانه وأخلاقه وعقائده وفرقانه، ويعملون على نشرها بين الأمم وتثبيتها في النفوس»[1]، وحين يحدث هذا الربط بين المرحلتين يعرف عظمة القرآن، وحينها ستدرك البشرية جمعاء أنّ الإسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله هو الرحمة بعينها.

ويُبيّن في هذا "الإبراهيمي" العلل التي أدّت إلى ابتداء انكماش القرآن على النّفوس فيقول: «فلما تفرقت المذاهب الفقهية ونشأ علم الكلام، وتفرقت منازعه بين الأشاعرة والمعتزلة، وظمأ الجدل، وتفرق المسلمين شيعًا حتّى أصبح كل رأي في علم الكلام أو الفقه يتحزب له جماعة، فيصبح مذهبًا فقهيًا أو كلاميًا يلتف حوله جماعة ويجادلون فضعفَ سلطان القرآن على النفوس، وأصبح العلماء لا يلتزمون في الاستدلال بآياته ولا ينتزعون الأحكام منها إلاّ قليلاً، فعلماء الكلام صاروا يستدلون بالعقل، والفقهاء أصبحوا يستدلون بكلام أئمتهم أو قدماء أتباعهم»[2].

ومعنى هذا أنّه لابدّ من التمييز بين القرآن والسنة الصحيحة وما علق بهما على يد بعض المفسرين من شوائب تراكمت حتى حجبت نور القرآن على العيون والبصائر.

لذلك أكّد "الإبراهيمي" أنّ الرّجوع للقرآن الكريم والسنة الصحيحة، والتفاعل معهما وتطبيق أحكامهما هو سر نجاح أسلافنا الصالحين لأنّهم وعوا جيدًا أنّ القرآن الكريم

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 316.

2- نفسه، ج4، ص 63.

﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمْ﴾[1]، فاتبعوا سبيله وجنوا بذلك العجب العجاب من القوة والسمو والإنتاج الحضاري والعلم والأدب والفن واللّغة.

2-3-2- تطهير الدّين من البدع والخرافات:

يرى الشيخ "الإبراهيمي" أنّ هذه البدع هي السبب في توقف المسلمين عن التّقدم، بل وفي تقهقرهم، لذلك ينبغي تطهير الدّين منها، ومن العقلية الخرافية تلك العقلية التي تنظر إلى "عالم القدرة" دون التفات إلى عالم الحكمة، وقد كان القرآن الكريم أكبر سبيل ودليل للخروج من دائرة الظلمات والخرافات إلى حقل اليقين والحقيقة المطلقة، وفي هذا الصدد يقول "الإبراهيمي": «القرآن هو الذي أصلح النفوس التي انحرفت عن صراط الفطرة وحرّر العقول من رقبة التقاليد السخيفة وفتح أمامها ميادين التّأمل والتّعقل ثم زكّى النّفوس بالعلم والأعمال الصالحة وزينها بالفضائل والآداب»[2].

فالإبراهيمي يُؤمن بقدسية القرآن الكريم وبقدرته الإصلاحية في كل زمان وكل مكان، بتنزهه عن الخطأ، ولو كان من عند البشر لكان فيه اختلاف كثير. وهذه تعتبر من أعظم العبر وهو دليل أيضًا على أنّ القرآن منزّه عن كل خطأ.

ويعود سبب دراسة "الإبراهيمي" لهذه الظاهرة إحساسه بمدى خطورتها على الجزائريين وعلى الأمّة الإسلامية ككل، حيث دعا إلى ضرورة تصحيح هذه المعاني الفاسدة وإصلاحها إصلاحًا شاملاً، حيث يقول: «... فلتكن هي أوّل ما نصلح إنْ كنّا

1- سورة الإسراء، الآية 09.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 94.

جادين في تثبيت الوعي واليقظة والنهضة... لأنّ الأخلاق إذا استقامت تفتّحت البصائر للوعي وتهيأت المشاعر لليقظة وانبعثت القوى للنهضة»[1].

وقد جعل "الإبراهيمي" هذه المسؤولية على عاتق علماء الإسلام، لأنهم يملكون في نظره سلطاناً على الأرواح مستمدًا من روحانية الدّين الإسلامي التي لها تأثير كبير على النفوس.

والحقيقة أنّه لا يوجد قطر من أقطار الإسلام تأثر بالفكرة الإصلاحية الدينية بالقدر الذي تأثر بها مسلمو الجزائر، وقد كان الفضل في ذلك لرجال الجمعية الذين قاموا بتطهير عقائد المسلمين، حيث عملوا على «إنقاذهم بذلك من عصبيات المذاهب والطرق التي فرقت شملهم، ومصائب التفرق والخلاف التي أذهبت ريحهم»[2]، وكل ذلك هو تطهير للدين الإسلامي من الأوهام والأباطيل[3].

فقد كانت كل هذه البدع والخرافات تحديًا خطيرًا في الساحة الإسلامية ولكن التّاريخ الإسلامي حافل بالجهود والمحاولات الإصلاحية المجدّدة، والتي تهدف إلى محاربة كل ما من شأنه أنْ يمسّ بقيمة الدين الإسلامي، وكان ذلك بواسطة "الإبراهيمي" الذي قام بتوعيتهم بحقيقة دينهم والسّهر على محاربة كل البدع والخرافات والأضاليل التي تتراكم في القلوب. بالإضافة إلى هذا فقد خاض الإبراهيمي الكثير من المقلات في هذا الجانب أمثال الدين المظلوم ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها ...الخ وغيرها من المقالات الأخرى.

1-الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 220.

2- نفسه، ج2، ص 345.

3- ينظر: محمد طهاري، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1992م، ص 140.

2-4- القضايا الثقافية التربوية:

لقد آمن وأدرك "الإبراهيمي" بضرورة التجديد والتغيير في جميع الأصعدة مدركاً منه أنّ العلم مفتاح هذا التجديد دون أنْ ننسى التربية، فقد عمل على:

2-4-1- نشر التربية والتعليم:

حرص "الإبراهيمي" على الجانب التربوي، حيث يرى أنّه من الواجب تربية جيل جديد تربية دينية صحيحة، تمكنه من أنْ يهب ويتجنّد لتحرير الجزائر، وعيًا منه بقيمة هذا الجانب في تحقيق النهضة المنشودة، لأنّ نهضة الأمّة مرهونة بنوع الجهود الفكرية والتربوية والعلمية التي يبذلها العلماء والمعلمون في مجال التوجيه والإرشاد والبناء الفكري، وتصحيح واقع المجتمع[1].

كما يؤكد "الإبراهيمي" على دور القلم في التنشئة الصالحة لأنّه كان سلاحه في التربية الملائمة مع حاجيات الأجيال المتجددة الآتية يقول "الإبراهيمي" في هذا: «يعذر هذا الجيل الذي نحن منه، بأنّه استلم التركة العامة أدوات معطلة، وأسلحة مغلولة، وأجهزة بالية، من جيل انتهى به زمنه إلى درجة من الإفلاس المادي والأدبي، صيّرته في غير زمنه، ولكنه لا يعذر إذا سلّمها –كما هي- إلى الجيل الآتي ويقترف جريمة غش لا تغتفر إذا حمل أوزاره و أوزار أجيال قبله على الجيل الآتي بعد أنْ كشف غررها، وتبين ضررها»[2].

فقد جعل من العلم وسيلة للقضاء على الوضع العلمي السيئ والمنحرف، ووسيلة لجوانب الإصلاح المختلفة، وكان المنطلق في الحصول على العلم هو «عدم التحجير على

1- ينظر: عبد القادر فضيل، التربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد 2، 2010م، ص 40.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 273.

العقول أنْ تفكر وعلى الأيدي أن تعمل وعلى الأرجل أنْ تسعى، وعلى الألسن أنْ تتفق بكل مفيد»[1]، وتعتبر هذه هي غاية الجمعية التي تسعى إليها وتبذل كل عزيز في الوصول إليها.

فقد سهر "الإبراهيمي" على نشر الوعي الشامل بهذه القيم الأصيلة من خلال الدّعوة إلى تنشئة الأجيال وفق هذه القيم السّامية، وذلك لإعداد الأفراد إعدادًا سليمًا يستوعب الحاضر ويشمل المستقبل، فنشط في هذا المجال نشاطًا كبيرًا حفظته الأجيال السّابقة، وتشهد له به الأجيال الحاضرة عندما تستقي من آثاره الخالدة، خاصة ما ورد في أحاديثه الرّائعة حول «كلمات واعظة لأبنائنا المتعلمين الأحرار»[2].

وهكذا كان نشاط "الإبراهيمي" في مجال التّعليم والتّربية المذكورة والغير مذكورة، إسهاما كبيرًا في ترسيخ القيم الدّينية، ونشر التّعليم بكل مبادئه والحفاظ على اللّغة العربية وبثّ الوعي وإيقاظ الضمائر.

2-4-2- إحياء مجد اللّغة العربية:

لقد ركّز "الإبراهيمي" على هذه المقوّمة بعد الدّين لأنّ حبّها يسري في وجدانه كما يسري الدّم في عروقه «ولأنّ اللّغة هي المقوّم الأكبر من مقومات الاجتماع البشري، وما من أمة ضاعت لغتها إلاّ وأضاعت وجودها، واستتبع ضياع اللّغة ضياع المقومات الأخرى»[3].

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 133.

2- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ج2، دار المعارف، القاهرة، (دط)، 1963، ص203.

3-الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 133.

حيث يراها "الإبراهيمي" أنها ليست غريبة ولا دخيلة في القطر الجزائري بل هي في مكانها وبين أنصارها «ممتدة مع الماضي لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين ترحل برحيلهم وتقيم بإقامتهم»[1].

فهي إذن ممتدة بجذورها منذ القدم، ولن تتزحزح مادام الإسلام قائمًا بأركانه في النفوس، فيزيدها القرآن بتلاوته عذوبة وتزيدها الصلوات الخمس تحصنا في القلوب، فإذا بها لغة دين ودنيا معًا[2].

ويرى "الإبراهيمي" أنّ هذه العربية هي التي وحدّت جميع الشعوب العربية والغير عربية، حيث كانت هذه اللّغة «ترجمانًا صادقًا لكثير من الحضارات المتعاقبة التي شادها العربي في جزيرتهم»[3].

ويُؤكد "الإبراهيمي" على دور الجمعية الفعّال حيث يقول: «وما قامت هذه الجمعية إلاّ لإحياء الإسلام والعروبة والعربية التي صمم الاستعمار على محوها...» [4].

وسبب تأكيد "الإبراهيمي" على دور هذه الأخيرة –الجمعية- لأنّها عالجت القضايا الجدّ حساسة في الجزائر وخاصة خلال مرحلة الاستعمار، إلى جانب هذا يرى "الإبراهيمي" أنّ اللّغة العربية خدمت الإنسانية عامة، لأنّها لم تخدم علمًا خاصًا بعينه، وإنما خدمت العلم المشاع بين البشر بكل الفروع، وهي اللّغة الوحيدة التي احتضنت العلم ونصرته في القرون الوسطى حين كان مستوى البشرية في الحضيض، يقول: «وقد كانت

1- الإبراهيمي، عيون البصائر، ج3، ص 206.

2- ينظر: الإبراهيمي، عيون البصائر، ج3، ص 206.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 374.

4- نفسه، ج5، ص 151.

هذه اللّغة في القرون الوسطى يوم كان العالم كلّه يتخبط في ظلمات الجهل هي اللغة الوحيدة التي احتضنت العلم وأوته ونصرته»[1].

كما أكّد "الإبراهيمي" على أكثر جانب في اللّغة العربية وهي مدى محاربتها للاستعمار باعتباره العدو اللدود للعروبة والدين وتعليمهما، حيث يقول في هذا: «وكما أنّ جهنم تتقى بالأعمال الصالحة، وأساسها الإيمان، فإنّ الاستعمار يتقي بالأعمال الصالحة، وأساسه العلم، وإذا كان العدو الأكبر لجهنم هو العمل الصالح، فإنّ العدو الأكبر للاستعمار هو التعليم»[2]، ولا يكون هذا إلاّ باللّغة العربية، لغة الوطن ولغة القرآن الكريم.

ولذلك الجمال في اللغة العربية أصبح الإسلام في عهد قريب صبغة الوطني التي لا تنصل و تحول «وأصبحت العربية عقلية حرّة ليس لها بهذا الوطن ضرّة»[3].

إنّ وزن اللّغة العربية عند "الإبراهيمي" ثقيل جدًا، لأنّه وعى قدسيتها واستوعب عبقريتها، وأدرك قيمتها في استيعاب العلوم القديمة والحديثة بفضل خاصيتها الشمولية.

ويمكن القول أنّ تجربة الكتابة عند الإبراهيمي كانت مغامرة جريئة، في وقت كانت فيه اللغة العربيّة تعاني التهميش والحصار،فلم يكن من السّهل أن يكتب بتلك اللّغة الفصيحة لمخاطبة جزائريّ همّه الوحيد القوت و الاستفادة من أبسط سبل العيش.

وقد استطاع الإبراهيمي أنْ يلمّ بمعظم القضايا التي تعرّض إليها المجتمع الجزائري، وقد كان المقال هو الطريقة الأنجح للتعبير عن هذه القضايا وفي شتى المجالات، وسنحاول من خلال الفصل التالي أن نعرض أهم المقالات التي جسدت هذه القضايا.

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 263.

2- نفسه، ج3، ص 220.

3- نفسه، ج3، ص 206.

الفصل الثالث

تجليات التناص في مقالات البشير الإبراهيمي

تمهيد:

إنّ القارئ لكتابات الإبراهيمي يظهر له بوضوح أنّ هذا العلاّمة بحكم تربيته الدّينية والقرآنية يقتبس ويتناص من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لإيصال ما يجول في فكره من المعتقدات والأفكار إلى المخاطب في أسلوب ديني يدل على سعة معرفته الدينية وثقافته القرآنية، حيث نجد إضافة إلى حضور الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة بعض القصص والشخصيات الدينية، وقد وظّف هذا من خلال مقالاته المتنوعة أهمها:

1- التّعاون الاجتماعي:

إذا كان "الشيخ الإبراهيمي" يُؤمن بالتوعية والتربية منهاجًا للإصلاح، ولا يكتفي بمجرد الخُطب الرنّانة، والكلمات المسجوعة، فإنّه يُؤمن كذلك "بالعمل الجماعي" ضرورة وشرطًا للنّجاح وتحقيق الرّجاء.

فالعمل الفردي مهما يَصحبه من الإتقان والإخلاص محدود الأثر، محصور القدرة، مُقيّد الإمكانات، ولكن إذا تضامت الجهود، وتلاحمت القوى، أصبحت اللبنات المتفرقة بنيانًا مرصوصًا، ولهذا نجده يقول: «**أبهج ساعات العمر ساعة يقف فيها أخ يحادث إخوانه على بساط الشعور المشترك والإحساس الصادق والإخلاص في القول...**»[1].

وهو بهذا الحكم يُريد إقناع أعضاء النّادي بأنّ يتكاتفوا جميعًا ويتعاونوا على إخراج الجزائر مما تعاني منه اجتماعيًا واقتصاديًا وثقافيًا، لأنّ المرء قليل بنفسه، كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده، قويّ بجماعته، ويد الله مع الجماعة، ولأنّ التّعاون في الإسلام مبدأ عام

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 48.

في كل الجماعات الإنسانية كما قرّره القرآن الكريم، مما جعل الإبراهيمي يتناص من هذه الآية الكريمة: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبَرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1].

وباعتبار الآية فيها حثّ من الله عزّ وجل على التّعاون الجماعي، فقد امتص العلامة الإبراهيمي هذه الآية إشاريًا ودلاليًا ليحدث ذلك التّفاعل ويجعل من كلامه قوّة لغوية مُؤثرة على القلوب والعقول تدفع المتلقي إلى العمل والاجتهاد.

بالإضافة إلى هذا استعان الشيخ الإبراهيمي بحديث المصطفى –صلى الله عليه وسلم- باعتباره عاملاً مُساعدًا على الإقناع، فيقول الإمام: **«... الشعور المشترك والإحساس الصادق والإخلاص في القول وحسن الإصغاء يتلو عليهم ما فيه العبرة من ماضيهم... إلى الجد في العمل المشترك، يدعوهم إلى التعاون في الصالحات، يدعوهم إلى العمل لما فيه سعادة الدّارين»**[2].

فالإمام في هذا القول يُحاول أن يقنع المتلقي بضرورة التكتل بينهم، وضرورة أنْ يتعاونوا وفقًا لما تقتضيه مبادئ الأخوة، ولهذا استعان بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام لعلمه بقيمته في نفوس المتلقين كمسلمين، فنم صعب عليه الإقناع بكلام الإبراهيمي يسهل عليه الأمر بعد أنْ يستحضر في ذهنه حديث الرسول –صلى الله عليه وسلم- لوَقعِه في النّفس وتغلغله في الأعماق، ويتمثل قوله في: «ولا تَحَاسَدُوا، وتَباغضوا، ولاَ تَدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى ها هنا -يشير إلى صدره ثلاث

1- سورة المائدة، الآية 02.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 48.

مرات- بِحَسْبِ امرئٍ من الشّرِ أنْ يَحقِرَ أَخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعِرضه»[1].

وقد استحضر الإبراهيمي هذا القول المعنوي المستنبط من الحديث الشريف، يعلن فيه أنّ المتلقي يمتلك عاملا الذوق والفهم اللذان يمكنانه من فكِّ القول، والوصول إلى مغزاه، فإن هو حثّ على هذه الرّابطة الاجتماعية فليست هي الأخوة في معناها الضيّق، بل الأخوة التي تؤدي إلى القوة والتّحرر.

ولا شك في أنّ أعضاء نادي الترقي وباعتبارهم الطرف الثاني للخطاب، كان لهم دور في توجيه الإبراهيمي أثناء اختيار هذه المقدمة الأخوية المستنبطة من السنة والثقافة العامة، وذلك بحضورهم العيني أو الذهني.

ويُواصل الإبراهيمي استحضار الآيات القرآنية، وذلك لحِرصهِ أكثر على إبراز فوائد الاجتماع في قوله: «**فوائد الاجتماع هي ثمراته الناتجة عنه وثمراته هي ما ترون من أعمال تعجز القوة الفردية عن إتمامها، وما ترونه من مصانع تخرج المعجزات، وما ترونه من تقريب الأقطار، وإخضاع البحار، ومن استخراج مواهب الأرض التي لا يستقل الفرد بإخراج جزء منها ولو جمع مواهبه، وما ترونه من تسلّط جبري على قوى الطبيعة واستخدامها بكل سهولة**»[2].

فيحاول بكلامه أنْ يجعل أعضاء النّادي متعاونين وملتصقين ببعضهم، وهنا يشير الإبراهيمي لمعنى قوله تعالى لموسى –عليه السلام- حينما خشي المشركون أنْ يقتلوه،

1- محي الدين بن شرف النوي، متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ص 27.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 50، 51.

فطلب من الله عزّ وجلّ أنْ يرسل معه أخاه هارون فردّ إليه تعالى قائلاً: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ونَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ اِتَّبَعَكُمَا الغَالِبُونَ﴾[1].

ويسترسل الإبراهيمي في بثّ دعوته عن طريق التّعاون بقوله: «**ومن ثمرات الاجتماع ما تقرأونه في التاريخ من تغلب جماعات قليلة العدد قليلة المال على جماعات هي أكثر منها عددًا أو أوفر مالاً**»[2]. وهذا المقطع يجعلنا نستحضر الآية الكريمة بوضوح تام: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3].

ويُواصل الإبراهيمي شحن عباراته بالآيات القرآنية، حيث يقول: «**... وإنْ تواكلنا في المبدأ وتخاذلنا وتمادينا على ما نحن عليه تأذن الله باضمحلالنا وحققّت كلمة المقت علينا (سُنّة الله في الذِّينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ)**»[4]. وهو اقتباس لفظي للآية الكريمة: ﴿سُنّة الله في الذِّينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً﴾[5].

وقد نزلت هذه الآية عندما كان فسّاق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة يتعرّضون للنّساء، فإذا رأوا امرأة محجّبة كفوا عنها، وإذا رأوا المرأة ليس عليها حجاب قالوا: هذه آمة فوثبوا عليها، فأنزل الله هذه الآية أمر فيها

1- سورة القصص، الآية 35.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 51.

3- سورة البقرة، الآية 249.

4- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص ص 56، 57.

5- سورة الأحزاب، الآية: 62.

الرسول –صلى الله عليه وسلم- أنْ يأمر النساء المؤمنات خاصة أزواجه وبناته لشرفهن بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ليتميّزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء[1].

وأمّا معنى الآية الشريفة، فهذه سنة الله تعالى في المنافقين إذا تمرّدوا في نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عمّا هم فيه، فأهل الإيمان، يسلِّطون عليهم، ويقهرونهم، وسنّة الله في ذلك لا تبدّل ولا تغيّر، فهي في موضع مؤكد: أي سنن الله في الذين يُنافقون الأنبياء أنْ يُقتلُوا[2].

وقد استحضر الإبراهيمي هذه الآية ليبرهن بها على مآل الأمّة التي تتواكل، ولا تسعى إلى النهوض بنفسها وبعملها، وهي أمّة جزاؤها الاندثار والزّوال، وقد جاء تأكيدًا لكلامه على أضرار التكاسل، ومن ثم ليقنع أعضاء النّادي والجزائريين عامّة بضرورة الاتحاد والعلم لتطوير البلاد.

2- الشبّان والزواج:

وقد تطرق الإبراهيمي في هذا المقال إلى أعضل مشكلة يعاني منها الشعب الجزائري، وهي الشباب والزواج، حيث نتج عن هذه القضية أثرًا سلبيًا في حياة الأمّة خاصة أنّ هذه الفئة (الشباب) تُمثِّل مستقبل، وعرض، وشرف الأمّة، أمّا السبب الذي نتج عنه هذه المشاكل كما بيّنه الإبراهيمي هو التعدي لحدود الله، يقول الإبراهيمي في هذا: «**فئة تعرض عن الزواج إلى أنْ يبلغ الواحد منهم سن الثلاثين فما فوق، فيضع على**

1- ينظر: ابن كثير، (الإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي)، تفسير القرآن الكريم، ج10، تخريج: محمود بن الجميل، دار الإمام مالك للتجليد الفني، الجزائر، ط1، 2006م، ص ص 747، 748.

2- الزمخشري، (أبو القاسم محمود بن عمرو ابن أحمد)، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، تخريج: الإمام الزيعلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1407هـ، ص 1109.

الجنسين ربيع الحياة ونسماته وأزهاره وبهجته وقوّته، أمّا الطور الثاني فيزوجون أولادهم قبل سن البلوغ، وهو تفريط شائن معيب، وخيْرُ الأمور الوسط»[1].

وفي عبارة الإبراهيمي "خير الأمور الوسط" تناص خارجي من القرآن الكريم وقد استحضر الإبراهيمي هذه الآيات عن طريق التّلميح، يقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾[2]، ويقول أيضًا: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾[3].

وكان لمعنى هذه الآيات نفس المعنى لقول الإبراهيمي حين حبذا الزواج أن لا يكون في سن متأخر ولا في سنّ مبكر.

وقد صنّف الإبراهيمي الشباب الذين يطاولون في الزواج في صنف الحيوان، يقول في هذا: «**إنّنا نتحدّث عن شبابنا الذين يُطاولون بالزواج وهم ينوونه، وأمّا أولئك الشبان الذين أركسوا في الدرك الأسفل من الحيوانية**»[4].

ونجد من خلال قول الإبراهيمي هذا تناص خارجي تمثل في القرآن الكريم وذلك في عبارة "الدرك الأسفل".

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[5]، وقد استحضر الإبراهيمي هذه الآية ليُبيّن قيمة الشباب التي تكلم عنها، حيث وضعها في

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 293.
2- سورة الإسراء، الآية 110.
3- سورة الإسراء، الآية 29.
4- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 294.
5- سورة النساء، الآية 145.

أسفل رتبة حيوانية، مثلما وضع الله المنافقين في الدّرك الأسفل من النار جزاء كفرهم الغليظ.

وقد بيّن البشير المعظلات التي تُعيق الزواج والتي يعاني منها شبابنا اليوم ومن أكبر هذه المعضلات المال، حيث كان السبب في تشتيت الكثير من الأسر، فمثّل قوله هذا بأكبر شخصية وهي شخصية الرسول –صلى الله عليه وسلم- فيقول: «**وقد زوج رسول الله –صلى الله عليه وسلم- مسلمة مؤمنة على أن يعلمها زوجها سورًا من القرآن، واكتفى في تزويج أخرى بخاتم من حديد (إن وجد) ليرشد إلى أنّ المال ليس له من الاعتبار في باب الزواج إلاّ ما لخاتم الحديد**»[1]، وقد اقتبس الإبراهيمي هذه الشخصية السّامية ذات المثل الأعلى حتى تكون مِثالاً يُقتدى به كافة الشباب، حيث فضّل الرسول – صلى الله عليه وسلم- ذلك الزوج الفقير الذي لا يملك شيئًا لأنّ الزواج الناجح ما بُني على مقاصد الإسلام، وهذا أعلى ما يملكه الإنسان، حيث بهذه السنة تُبنى بيوت المحبة والتعاون وتربية النسل وتعليمه وتقوية الأمّة به.

وأكّد الإبراهيمي أنّ الزواج الصالح كما قال: «**جعله الله سكنًا وأُلفة ورحمة**»[2]، ويدعم الإبراهيمي قوله هذا من القرآن الكريم عن طريق التناص الخارجي، وذلك من الآية التالية: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 295.

2- نفسه، ج3، ص 295.

3- سورة الروم، الآية 21.

يقول الإبراهيمي أيضًا: «**أيها الآباء يسّروا ولا تعسّروا وقدّروا لهذه الحالة عواقبها وارجعوا إلى سماحة الدين ويُسره، وإلى بساطة الفطرة ولينها**»[1].

وقد اقتبس الإبراهيمي كلامه هذا من حديث المصطفى –صلى الله عليه وسلم- «يسِّرُوا ولا تُعسِّرُوا وبشِرُوا ولا تُنفرُوا»[2]، وذلك عن طريق التّناص الخارجي.

فأراد الإبراهيمي من أمّته اختيار الأيسر واجتناب المعاصي، ولأنّ اليُسر هو الذي يُريده الله، وذلك بقوله عزّ وجل: ﴿يُرِيدُ الله بِكُم اليُسْرَ ولا يُرِيدُ بِكُم العُسْرَ﴾[3].

3- الطلاق:

وينتقل الإبراهيمي في وصفه للمشاكل الاجتماعية من الزواج إلى الطلاق، الذي يُمثل أعظم المشاكل وخاصة في يومنا هذا، وقد حاول الإبراهيمي بدوره تقديم الحلول لتفادي الوقوع فيه. وإنْ وقع فيه الإنسان فلا يتجاوز حدود الله التي أمر بها.

يقول الإمام في هذا: «**فالله أرحم من أنْ يكلف عباده تحمل هذا النوع من العذاب النفسي، وهو الجمع بين قلبين لم يأتلفا، وطبعين لم يتحدا...**» [4].

ومن خلال هذا القول نستحضر معنى الآية التي تقول: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[5]. وقد وظّف الإبراهيمي هذه الآية عن طريق التّلميح مفادها أنّ الله لا يكلف أحدًا فوق طاقته، وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورأفته بهم وإحسانه إليهم، وقد كان تناصًا خارجيًا معنويًا.

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 296.

2- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج1، تح: محمد زهير ناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، ص 25.

3- سورة البقرة، الآية 185.

4- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 297.

5- سورة البقرة، الآية 286.

وقد أشار لنا الإبراهيمي من خلال مقاله إلى الإصلاح بين الزّوجين، يقول: **«... أوطغت الغرائز الحيوانية على الفضائل الإنسانية في أحدهما أو كليهما، ولم يتم العقل وحده أو مع الحكمين، فإصلاح ذات البين»**[1].

ويقتبس الإبراهيمي مرّة أخرى من القرآن الكريم وذلك في قوله "إصلاح ذات البين"، وقد استحضرها عن طريق التّناص المباشر من الآية الكريمة التالية: ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

وقد جاءت هذه الآية من القرآن الكريم لشأن خاص في تلك الظروف وتلك المناسبة، "فصلاح البين"، في الآية بمعنى صمام الأمان في التنازع والمشاحنة بسبب توزيع الغنائم، لأنّ من شأنه إحداث جوٍ من الرضا والتسامح بين من أخذ ومن لم يأخذ، لذلك أنزل الله بقوله "إصلاح ذات البين"، وهي تعني ما بينكم من الأحوال، حتى تكون أحوال ألفة ومحبة وإنفاق، وقد جعل إصلاح ذات البين من لوازم الإيمان وموجباته[3].

وقد وظّف الإبراهيمي عبارة "إصلاح ذات البَيْن"، لحل النِّزاع والخلاف بين الزوجين، أمّا في الآية جاءت سببا لحل النِّزاع والخلاف بين المسلمين.

وأشار الإبراهيمي من خلال مقاله إلى كلمتين تثيران في النّفس شيئًا من الإحساس الحي وتُنبهان على خيال من الحكمة، ساعيًا بذلك أنْ يأخذوا بها أهل الفقه[4]، الأولى

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 297.

2- سورة الأنفال، الآية 01.

3- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ص 469.

4- ينظر: الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 298.

تمثلت في باب النكاح، يقول: «**النكاح مبني على المكارمة**»[1]، والثانية في باب الطلاق، يقول: «**أبغض الحلال إلى الله الطلاق**»[2].

حيث نجد في عبارته الأولى: "النكاح مبني على المكارمة"، قد اقتبس فيها الإبراهيمي من القرآن الكريم وذلك عن طريق التلميح للآية التالية: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

فقد رغّب الله تعالى بالنكاح لما له فضل على الإنسان، وهو ما جعل الإبراهيمي يُشجِّع على إقدامه، وقد كان لتوظيف التناص في نص الإبراهيمي فضل عظيم وخاصة فيما يتعلق بإقناع الشباب الجزائري على ذلك.

أمّا عبارته الثانية في "أبغض الحلال إلى الله الطلاق"، فقد وظّف الإبراهيمي قوله هذا من حديث النبي –صلى الله عليه وسلم- وذلك عن طريق التناص الخارجي لفظًا ومعنًى، ويقول –صلى الله عليه وسلم-: «إنّ أبْغَضَ الحَلالِ عندَ الله الطَّلاق»[4].

فالطلاق حلال ليس حرام، ولكنّه أبغض الحلال، لما فيه من التفرقة بين الرجل وزوجته وأهله، لذلك استحب الرسول –صلى الله عليه وسلم- استبعاد هذه الظاهرة إذا وجد حيلة في تركها، وبما أنّ الإبراهيمي رجل مُصلح فهو يسعى دائمًا إلى التنويه لما له من قوة في الإقناع.

1-الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 298.

2- نفسه، ج3، ص 298.

3- سورة النور، الآية 32.

4- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج1، 661.

4- أعراس الشيطان:

الإبراهيمي بطبعه رجل مصلح لذلك تنبّه لمختلف القضايا الاجتماعية التي يُعانيها المجتمع، من ظواهر معاصرة إلى ظواهر بالية قديمة من عادات المجتمع الجزائري، ألا وهي "الزرد"، حيث وصف الإبراهيمي هذه الأخيرة بأنّها عمل من أعمال الشيطان، وتبقى حفلاتها ومواسمها إلاّ أعراس الشيطان وولائه.

وقد بيّن الإبراهيمي أنّ الشياطين لا تنزل إلاّ على فئة معيّنة وهي التي تقوم بهذه الأعمال الشيطانية، فيقول في هذا: «**فإنّ الشياطين لا تنزل إلاّ على كلّ أفّاك أثيم**»[1]، وقد بيّن هذا من خلال تداخل هذه العبارة مع النص القرآني في قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ، تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[2].

ومن خلال الآية يتّضح لنا أنّ الشياطين تنزل على الكفّار الذين يدعون إلى طاعة الشيطان معارضين محمدًا –صلى الله عليه وسلم- الذي كان يدعوا إلى لعنه والبراءة منه، وكان لاستحضار الإبراهيمي هذه الآية خدمة لنصه مفادها أنّ الشرك بالله تجعل صاحبها متيم بأعمال الشياطين.

وينتقل الإبراهيمي إلى وصف الشيطان يقول: «**والشيطان حقيقة روحية، لا تدرك بالحواس، ولا تُعرف بالحدود، ولا تُقاس بالموازين البشرية، وإنما نعرفه بآثاره في أوليائه، من القابلية للشر والفساد، والاستجابة للمنكر والباطل، والتصور في الفسوق والعصيان**»[3].

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 319.

2- سورة الشعراء، الآية 221، 222.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 319.

وفي العبارة الأخيرة من الفقرة السابقة -والتصور في الفسوق والعصيان- إشارة وتلميحًا إلى النص القرآني، يقول الله تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[1].

ففي نص الإبراهيمي ذكر لنا معاصي الشيطان وليُبيِّن من خلال هذه الآية أنواع هذه المعاصي، التي تخرج من الملة كالكفر، والمعاصي التي لا تخرج من الملة، ولكنّها تُنقص الإيمان نقصًا ظاهرًا كالزنا والسرقة وشرب الخمر وغير ذلك من الكبائر، وسُميّت فسوقًا وصاحبها فاسق، لأنّ الفسق معناه:الخروج من الشّيء والانسلاخ منه أي الخروج عن طاعة الله عزّ وجلّ[2]، وقد كرّه الله تعالى هذه الأنواع من المعاصي إلى أهل الإيمان وحبّب إليهم أنواع الطاعات والعبادات.

وقد كان هذا التداخل عن طريق التلميح في نص الإبراهيمي مكمّلاً ومُبيّنًا لنصه من جهة وزيادة المعنى وضوحًا وإقناعًا من جهة أخرى.

ويُواصل الإبراهيمي في ذكر صفات الشيطان: «**أنّه متمرّس بسلائل آدم خالٍ من الشغل إلاّ بهم فيتفنّن في تزيين الفواحش لهم، إلاّ من أخلصته عبادته لله وعصمته من إضلال الشيطان**»[3]، ويتناص الإبراهيمي من القرآن الكريم، وذلك في عبارة "إلاّ من أخلصته عبادته لله" عن طريق التناص الخارجي للآية الكريمة التالية: ﴿قال فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[4].

1- سورة الحجرات، الآية 07.

2- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ص 1342.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 320.

4- سورة ص، الآية 82، 83.

ومن أنواع المنكرات والمعاصي الشيطانية التي ذكرها الإبراهيمي نجد "الزرد"، يقول فيها: «**هذه "الزرد" التي تُقام في طول العمالة الوهرانية وعرضها هي أعراس الشيطان وولائمه، وحفلاته ومواسمه، وكلّ ما يقع فيها من البداية إلى النهاية كلّه رجس من عمل الشيطان وكل داعٍ إليها أو معين عليها، أو مكثر لسوادها فهو من أعوان الشيطان...**»[1].

وتُشير الفقرة السّابقة تداخل نص الإبراهيمي (الحاضر) بالنّص (الغائب) القرآن الكريم، والمتمثل في قوله "رجس من عمل الشيطان"، المقتبسة من الآية الكريمة والمتمثلة في نهي الله تعالى للمسلمين من الأعمال الشيطانية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

فالمقصود من الآية أنّ كلّ ما يضيع العقل والمال وما يعبد من غير الله وما يتطيّر به فكله خبث من عمل الشيطان، فلا يجب التّقرّب منه، والرّجس الخبث المستقدر والمكروه من الأمور الظاهرة والملزمات الباطنة[3]، واستحضر الكاتب جزء الآية بما يخدم نصه وهدفه أنّ كلّ ما يُضيع المال من إقامة الحفلات والولائم وما يقدس من دون الله (زيارة قبب الأولياء) كلّه رجس من عمل الشيطان، وأنّ كل ما يعمل فيها من أولها إلى آخرها ما هي إلاّ أعمال الشياطين وخبثها.

ويقول أيضًا الإبراهيمي: «**ولقد ماتت هذه العوائد الشيطانية قبل الحرب الأخيرة، أو كادت تموت بتأثير الحركة الإصلاحية المطهرة للعقائد، فما قضي عليها بتأثير النّاس**

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 320.

2- سورة المائدة، الآية 90.

3- ابن عاشور الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج7، الدّار التونسية للنشر، تونس، (دط)، 1984م، ص 24.

بالحرب ولأوائها، وقد عادت في السنتين الأخيرتين إلى ما كانت عليه، ودعا داعي الشيطان إليها فأسمع في القانتين بصلاة، أو ثوّب في المستطيعين بحج، فإذا هم في اليوم الموعود مهطعون إلى الدّاعي، رجالاً ونساءًا وأطفالاً ينجون الرواحل ويسوقون القرابين، ويحملون الأدوات...»[1].

وفي هذه الفقرة تداخل الكاتب ببنية النص القرآني، وقد أحسن الإبراهيمي في تركيب الآيتين معًا مع تركيب نصه، رابطًا علاقة الآيتين بعلاقة نصه، فقد اقتبس من قوله تعالى: ﴿وَالسَّماءِ ذَاتِ البُرُوجِ، واليَوْمِ المَوْعُودِ﴾[2]، ويقوله أيضًا: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾[3].

وقد جمع الكاتب اليوم الموعود وهو يوم (القيامة) بيوم (الزرد) فكلاهما يوم كبير وجمع بين مهطعون (رجال ونساء وأطفال) إلى الدّاعي وهو "الزرد" (داعي الشيطان) بداعي يوم الآخرة وهو (إسرائيل أو جبريل) وقيل ناظرين إليه لا يقطعون بأبصارهم[4]، وهو تناص خارجي عن طريق التّلميح والإشارة.

والهدف من قول الكاتب إذا أتى يوم الزرد، ودعا العمالة (أصحاب الزرد) الناس من رجال ونساء وأطفال تداعى لهم القوم مسرعين بأدواتهم و أشيائهم إلى ذلك المكان فتُنصب الخيم وما ينجم منه-المكان- إلاّ المنكرات والآثام.

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 321.

2- سورة البروج، الآية 1، 2.

3- سورة القمر، الآية: 08.

4- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج4، ترتيب وضبط وتصحيح: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (دط)، 1472هـ/1976م، ص 432.

ويقول أيضا الإبراهيمي يقول: «**يا قومنا، أجيبوا داعي الله، ولا تجيبوا داعي الشيطان، يا قومنا إنّ أصول هذه المنكرات مُفسدة للعقيدة، وإنّ فروعها مُفسدة للعقل والمال، وإنّكم مسؤولون عند الله عن جميع ذلك**»[1].

وقد اقتبس قوله هذا من القرآن الكريم وذلك من خلال عبارته، (يا قومنا أجيبوا داعي الله) لقوله تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2].

وتُبيّن الآية دعوة هؤلاء (أشراف الجن) قومهم باتباع داعي الله، وهو الرسول – صلى الله عليه وسلم- والإيمان بالله ورسوله وترك ما كانوا عليه (اليهودية) [3]، وبهذا وظّف الكاتب النص القرآني بما يخدم رسالته ونصحه لقومه، فهو يتناص بحادثته وحادثة قوم الجن، وقد كان هذا التناص خارجي عبارة عن تلميح.

وغرض الكاتب من هذه الدّعوة اتّباع قومه كتاب الله وسنة نبيّه –صلى الله عليه وسلم- والتّمسك بهما وترك ما كانوا عليها من شهوات ومنكرات والشرك بالله (في تقديس القبب)، لأنها مُفسدة للعقيدة ومُفسدة للعقل والمال معًا، لذلك وجب الإبراهيمي تجنّب هذه المعاصي لأنّ الإنسان مسؤول ومُحاسب أمام الله تعالى، فيقول من نفس هذه الفقرة:

1- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 322.

2- سورة الأحقاف، الآية 31.

3- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ص1316

«**وإنّكم مسؤولون عند الله عن جميع ذلك**»[1]، ويستحضر هذا القول من قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُم إِنَّهُم مَسْؤُلُون﴾[2].

فسيأتي يوم البعث ويقف البشر أمام الله للحساب حتّى يسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صَدرت عنهم في الدّار الدّنيا، وهم مسؤولون عن ذلك كلّه، وهذا ما دعا إليه الكاتب فأيّ عمل قام به الإنسان كان موقوفًا معه إلى يوم القيامة.

5- إلى أبنائنا المعلّمين الأحرار:

لقد تألّم الشيخ الإبراهيمي للوضع الاجتماعي التي تتردى به الأمة وآمن إيمانًا جازمًا بأنّ الخلاص لا يكون إلاّ بالعلم المتكامل من كل الجوانب، حيث يدعو في كلّ مناسبة ومن كل منبر يعتليه إلى الجدّ في تحصيل العلم والمعرفة، فقام بدعوة المعلّمين الأحرار إلى تقوية عزائمهم في المدارس الحرّة التي ينشطون بها، هذا من جهة ومن جهة أخرى وصفهم في أعلى المراتب وأسمى الدّرجات، يقول الإبراهيمي في هذا: «**ها أنتم هؤلاء تربّعتم من مدارسكم عروش ممالك، رعاياها أبناء الأمة وأفلاذ أكبادهم...**»[3].

ويتناص الإبراهيمي في قوله هذا من الحديث النبوي الشريف عن طريق التناص الغير مباشر لهذا الحديث، يقول المصطفى –صلى الله عليه وسلم: «العلماء ورثة الأنبياء»[4].

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 322.

2- سورة الصافات، الآية 24.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 262.

4- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص 24.

وكان سبب توظيفه لهذا التناص تأكيدًا لمنزلة المعلّمين ورفع مستواهم من منزلة المدارس إلى تربعهم على عرش الممالك.

ويقول الإبراهيمي أيضًا في هذا: «**وصفناكم في العدد الخاص بالمدارس –بما أنتم أهله، وذكرناكم- ذكركم الله في الملإ الأعلى بالخير الجميل، وأرسلنا إليكم التحية الأبوية**»[1].

ويقتبس هذا عن طريق التلميح من الحديث النبوي الشريف، يقول –صلى الله عليه وسلم-: «إنّ الملائِكَة لتَضَع أجْنِحَتَها رضا لطالبِ العلم»[2]. فالملائكة تضع أجنحتها لهم تكريمًا واعترافًا بعلو مكانتهم.

ويُحاول الإبراهيمي من خلال منهجه الإصلاحي النّهوض بالأمّة الجزائرية التي طغى عليها الجهل والتّخلف، يقول في هذا: «**... سارت الأمم في مناهج العمران عنقًا فسيحًا ونحن في نومة أصحاب الكهف والرّقيم، غفلنا عن الأهبة للتّزاحم الاقتصادي، فأدركنا سيله الجارف وسدّدت علينا منافذ الحياة وشتّان ما بين الكسلان والعامل**»[3].

ونُلاحظ في هذه الفقرة يستحضر الإبراهيمي قصة دينية قرآنية وهي قصة "أهل الكهف"، وذلك من خلال عبارته "أصحاب الكهف والرّقيم"، وكان هذا الاقتباس عن طريق

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 262.

2- محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، ج5، تح: محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دط)، (دت)، ص 48.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 262.

التلميح يقول الله تعالى في هذا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنّ أَصْحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾[1].

والإبراهيمي يُعاتب شعبه مقارنة بالأمم الأخرى التي تسعى للأفضل بينما (المجتمع الجزائري) ظلّ غافلاً راكدًا لدرجة السّبات، مثلما حدث مع أصحاب الكهف حين سلّط عليهم الله عزّ وجلّ نومًا عميقًا دام سنوات طويلة، لقوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[2].

وقد كان المقصود من هذا التوظيف تأكيد الحالة التي وصل إليها أفراد المجتمع الجزائري، وقد أدبروا تمامًا على التّقدم.

ويحفل مقال الإبراهيمي بالنصائح التي نظمها عن الحق والصّبر، يقول: «**أمرنا بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وفيه ما كل خير فهل امتثلنا؟**»[3]، وفي هذه العبارات تناص لفظي للآية الكريمة: ﴿إلاّ الذِّينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وتَوَاصُوا بالحَقِّ وتَوَاصُوا بالصَّبْرِ﴾[4].

ومن نفس هذا المعنى، يقول: «**... ثمّ لمْ نَكْتفِ بذلك حتّى اتّخذنا مطية للتخريف فالتبس الحق بالباطل**»[5].

1- سورة الكهف، الآية 09.

2- سورة الكهف، الآية 11.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 264.

4- سورة، العصر، الآية 03.

5- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 264.

وهو ما نهى عليه عزّ وجلّ وما جعل الإبراهيمي استدعاء هذه الآية: ﴿فَلاَ تَلْبِسُوا الحقَّ بالبَطِلِ وتَكْتُمُوا الحَقَّ وأَنْتُم تَعْلَمُونَ﴾[1].

إلى جانب النّصح والإرشاد الذي حَرص عليه الإبراهيمي في مقاله، نجد أيضًا التحذير، حيث يُحذِّر أمّته من الوقوع في نفس الخطأ الذي وقعت فيه أسلافنا سالفًا، والقرآن والتاريخ يُبيّن هذا، يقول الإبراهيمي في هذا: «**إنّ التّاريخ أفصح مخبر وأصدق ناقل، وقد أخبرنا كيف كانت عاقبة الذين من قبلنا وحذّرنا أنْ نتعرض لمقت الله بما كسبت أيدينا، وأعيذكم أنْ تكونوا ممّن تَماروا بالنُذُر**»[2].

وهو ما يُوضّحه الله تعالى في كتابه، حيث يقول: ﴿فَلْيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الذّين مِنْ قَبْلِهِمْ ولَدَارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ للذِّينَ اِتَّقُوا أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[3]، وهذا التناص القرآني اللفظي وظّفه الإبراهيمي حتى يُؤكد كلامه لفظًا ومعنًى، وحتى تكون له قوة الإقناع خاصة أنّ أمّته يَسُودها الجهل آنذاك، لهذا نجد الإبراهيمي يسعى إلى تدعيم أقاويله بالقرآن والسنة.

ويقول الإبراهيمي أيضا: «**... واعلمو أنّكم عاملون، فمسؤولون عن أعمالكم...**»[4].

فالإبراهيمي يُنبّه أمّته في أعمالهم لأنهم مُحاسبون عليها من قبل الله والأمة والتاريخ، والجيل الذي يربيه.

1- سورة البقرة، الآية 42.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 265.

3-سورة يوسف، الآية 109.

4- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3، ص 262.

وهذا ما جعله يستحضر قول النبي –صلى الله عليه وسلم-: «كُلّكم راعٍ وكلّ راعٍ مسؤول عنْ رَعيّته»[1].

وبطبيعة الحال فإنّ القوة الفنّية والتّأثيرية للتناص الديني في مقالات الإبراهيمي واضحة وضوح الشّمس، ففي قوله: «**أوصيكم بتقوى الله فهي العدّة في الشّدائد... وهي مبعث القوّة واليقين وهي معراج السّمو إلى السماء**»[2].

وقد تمثّل التناص الديني هنا في (قصة المعراج) التي حولت الخطاب من مستواه العادي والمألوف إلى مستوى الدّلالي المدهش، فالإبراهيمي أمر في هذا البناء اللّغوي بالتّقيد بتقوى الله، لأنّ تقوى الله هي العدّة التي تكسب الإنسان الكرامة في الدّارين، كما أكرم الله عزّ وجلّ الرسول –صلى الله عليه وسلم- قبل الهجرة بالإسراء والمعراج، بصعوده إلى العالم العلوي. وقد وظّف الإبراهيمي هذا التّناص عن طريق التلميح.

6- لا يصلح آخر هذه الأمّة إلاّ بما صلح به أوّلها -إلى القرآن من جديد-:

لقد أدرك الإبراهيمي قيمة هذا الجانب أكثر من الجوانب الأخرى، لما له من أهمية على حياة الأمّة، لأنّ حالة التّأخر قد أدخلت الأمّة الإسلامية في تشوّهات كثيرة تتعلق بالدّين، حيث كثُر فيها الانحراف وأصبح المجتمع يُؤمن بالبدع والخرافات وذلك لضعف الوازع الديني في الناس وسلوكهم، وهو ما جعل الإبراهيمي يؤكد على دور القرآن الكريم، حيث يظهر أثره بقوة في تعابير الإبراهيمي، ويختلف باختلاف الموضوعات التي يكتب فيها، فيستمد في بعضها اللّفظ الصريح الذي قد يأتي معكوسًا أو محورًا كما نرى في حديث له عن القرآن الكريم ومحاسن الأخذ به، ونتائج ذلك على الأمّة الإسلامية،

1- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج2، ص 05.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 265.

فاختصر حديثه الطويل عن محاسن القرآن في قوله: «**هذا هو القرآن الذي وصفه مُنَزِّله بأنه إمام، وأنّه موعظة، وأنّه نور وأنّه بيّنات، وأنّه برهان، وأنّه بيان، وأنّه فرقان**»[1].

فوظّف هنا بذكاء أصداء من سورة البقرة، وذلك حين يقول الله عزّ وجلّ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الذّي أُنْزِلَ فِيه القُرآن هدى للنَّاسِ وبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقَان﴾[2].

وكان سبب هذا التناص القرآني إثارة الشعور بالإعجاب لدى المتلقي ذو الثقافة الإسلامية الذي يهوى استنشاق روحانية الأفكار الإسلامية المدعمة من الله عزّ وجلّ بالحجج، مثلما وصف سبحانه وتعالى القرآن بالدّليل، و بأنّه فرقان ومن ثمّ الإقناع.

يواصل الإبراهيمي في مدح هذا الكتاب المنزّه عن الأخطاء وكلّ الشبوهات، فإذا حكم حكم بالعدل وإذا أعْدَل أعْدل بالحق لأنّ صاحبه قد بلّغه بالأمانة، يقول الإبراهيمي في هذا: «**... وبلّغه بالأمانة وحكم به بالأمانة وحكمه في النفوس بالأمانة وعلم وزكى بالأمانة ونصبه ميزانًا بين أهواء النفوس وفرقانًا بين الحق والباطل**»[3].

وهذا القول يجعلنا نستحضر قول الله عزّ وجلّ: ﴿الله الذي أَنْزَلَ الكِتَابَ بالحقّ والميزَانَ ومَا يدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَة قريبٌ﴾[4].

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 94.

2- سورة البقرة، الآية 185.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 94.

4- سورة الشورى، الآية 17.

فمحاسن القرآن الكريم لا تُعدّ ولا تُحصى وفضله على البشرية إنما تزيد أضعاف محاسنه، يقول في هذا الإبراهيمي: **«... وسوّى بين النّاس في العدل والإحسان فلا فضل لعربي -إلاّ بالتقوى- على عجمي»**[1].

ويوظف الابراهيمي مرّة أخرى من حديث نبيّنا محمد -صلى الله عليه وسلم- فيقول: «لا فرق بين عربي ولا أعجمي ولا أبيض ولا أسود إلاّ بالتّقوى»[2].

بإضافة هذا نجد القرآن بأنّه العدالة الّتي تمنح العدل والحقّ،أي كأنّه الدستور الخاص للمسلمين، وذلك في معرض حديث الإبراهيمي عن القرآن الكريم ودوره في إصلاح الأمّة، فنراه يقول: «**كذلك وضع القرآن الحدود بين الحاكمين والمحكومين، وجعل القاعدة في جميع هذه الآيات ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه**»[3].

ونجد هذا القول من الآية الكريمة، حيث يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾[4].

وهي آية خُوطب فيها النبي –صلى الله عليه وسلم- تشريفًا وتكريمًا، ثمّ الأمّة تبعًا عن الطلاق وعن حدوده، وذلك حين طلّق النبي –صلى الله عليه وسلم- حفصة، وحدود

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 94.

2- نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج8، دار الفكر، بيروت، (دط)، 1412هـ، ص 160.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 95.

4- سورة الطلاق، الآية 01.

الله هي شرائعه ومحارمه، ومن يخرج عنها ويتجاوزها إلى غيرها ولا يأتمر بها فقد ظلم نفسه[1].

ولكن الإبراهيمي قد انزاح عن معنى الآية الحقيقي إلى معنى آخر يُثبت من خلاله مدى صلاحية القرآن الكريم في معالجة أمراض وآفات الأمّة الإسلامية، فكانت هذه الآية شاهدًا مقنعًا بما حملته من دلالة على مقدرة القرآن الكريم، وبالتالي أوامر الله عزّ وجل في ضبط الموازين بين النّاس، حتى يُصبح كل حق في يد صاحبه، وهي العدالة التي يصبوا إليه المسلمون في زمن استبدادي لم يعرف للعدالة فيه طريق.

وانطلاقًا من توظيف الآية الكريمة لخدمة أغراض الأمّة الإسلامية، يتبيّن لنا مدى تأثير المقام في تغيير مدلول الكلمات، وذلك بالنّظر إلى نص الآية القرآنية التي عبّرت في أصل وضعها عن حدود الطلاق وخطورة التّعدي على هذه الحدود، ثمّ تجاوزت ذلك إلى التّعبير عن إعجاز القرآن في إصلاح الأمّة، وهذا ما يُفهم من سياق الخطاب.

وتنفذ كلمات التّعبير وتجف أقلام الإمام ولكنّه لا يَكفُّ عن ذكر محاسن القرآن الكريم، يقول في هذا: «**...، وأنّه رحمة، وأنّه شفاء لما في الصدور**»[2]، وهو ما أكّده الله تعالى بقوله: ﴿وننَزِّلُ مِنَ القُرآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ للمُؤمِنِينَ ولاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إلاّ خَسَارًا﴾[3].

1- ينظر: الإمام الحافظ بن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج4، ص600.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 94.

3- سورة البقرة، الآية 82.

ويقول أيضًا الإبراهيمي: **«... والقرآن يهدي للتي هي أقوم»**[1]، وهو تناص لفظي ومعنوي للآية الكريمة التي تقول: ﴿إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمْ﴾[2].

أمّا سبب توظيف الإبراهيمي لهذه الآيات سواءً على مستوى اللّفظ أو على مستوى المعنى حتّى يُلفِتَ انتباه القارئ ويُقوّي سمعه نحو عباراته وحتّى تكون أكثر إقناعًا.

ويُواصل الإبراهيمي في حديثه عن القرآن ويُؤكد في مقاله هذا بأنّه فريد بطبعه خالص لا مثيل له، يقول في هذا: «**ووصفه من أنزل على قلبه محمد بن عبد الله –صلى الله عليه وسلم- ، بأنّه لا يخلق جديده ولا يبلى على الترداد ولا تنقضي عجائبه...**»[3].

ويستحضر الإبراهيمي معنى هذا القول من الآية الكريمة، لقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[4]. وقد كان هذا تناصًا خارجيًا غير مباشر، وظّفه الإبراهيمي لبيان قوّة القرآن الكريم ومعجزته التي لا يصل إليها أحدًا، كما استحضره الإبراهيمي لتقوية أسلوبه وإثراء لغته وهو ما يجذب فكر القارئ.

وعند كلامه لمحاسن القرآن يتطرق الإبراهيمي لأكبر مشكلة في العالم الإسلامي، وهي مشكلة الغنى والفقر، يقول الإبراهيمي في هذا: «**والقرآن هو الذي حلّ المشكلة الكبرى التي يتخبط فيها العالم اليوم ولا يجد لها حلاً، وهي مشكلة الغنى والفقر، فحدّد الفقر كما تحدّد الحقائق العلمية، وحثّ على العمل كما يحثُّ على الفضائل العلمية، وجعل**

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 94.

2- سورة الإسراء، الآية 09.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 94.

4- سورة الإسراء، الآية 88.

بعد ذلك التحديد للفقير حقًا معلومًا في مال الغني يدفعه الغني عن طيب نفس لأنّه يعتقد أنّه قربة إلى الله، ويأخذه الفقير بشرف لأنّه عطاء الله وحكمه، فإذا استغنى عنه عافه كما عاف المحرم، فلا تستشرف إليه نفس ولا تمتد إليه يده»[1].

وفي قول الإبراهيمي هذا معنى للزكاة التي فرضها الله تعالى في كتابه وأمر بها رسول الله –صلى الله عليه وسلم- في حديثه، حيث يقوم بها الغني اتجاه الفقير، كما هو مُبيّن في مقال الإبراهيمي، تأكيدًا من المولى عزّ وجل على هذه الفريضة، فيقول: ﴿قُلْ لِعِبَادِي الذِّينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاَةَ ويُنْفِقُوا مِمَّا رزَقَهُمْ سِرًّا وعَلاَنِيَةً﴾[2].

وهذه الآية الكريمة تُثبت ما قاله الإبراهيمي، فالله تعالى جعل مال الغني يُسترزق منه الفقير باعتبار أنّ هذا المال رزق من الله عزّ وجلّ، والغني وسيط بينهما، وعلى الفقير أنْ لا يخجل في أخذ هذا المال.

وقد أكّد القرآن الكريم على هذه الفريضة في العديد من المواقف والآيات، تثبت على ذلك من بينها: ﴿إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[3].

والإبراهيم كرجل مسلم ملتزم بالعقائد الإسلامية لجأ إلى عرض هذه الفريضة حتى يُنوه بها أمّته على فعل الخير، وقد ساعده التناص المعنوي (غير مباشر) على إيصال فكرته بأسلوب قوي وفي نفس الوقت سهلة لأنها مُوجّهة للعامّة.

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 95.

2- سورة إبراهيم، الآية 31.

3- سورة البقرة، الآية 271.

بالإضافة إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف لجأ الإبراهيمي إلى حجّة إقناعية أخرى وهي الامتثال بشخصية فعّالة أبرزها الله تعالى وجعلها مثال أسمى لمن يقتدي بها وهي شخصية نبيّنا محمد –صلى الله عليه وسلم- حتى يتمكن من إقناعهم بما يصبوا إليه، فقال: «**والأمّة المشار إليها في الجملة أمّة محمد صلى الله عليه وسلم- وصلاح أوّل هذه الأمّة شيء ضربت به الأمثال وقدّمت البراهين، وقام غائبه مقام العيان، وخلّدته بطون التّاريخ، واعترف به المواقف والمُخالف، ولهج به الرّاضي والسّاخط**»[1].

فالشيخ الإبراهيمي أراد استمالة المسلمين، وحملهم على الإذعان، من خلال تذكيرهم سلفهم الصّالح الذين تمكنوا في دنياهم ونجحوا في أواخرهم لمّا تمسكوا بالقرآن، وعملوا بمبادئه، وقد رأى من وراء هذا الكلام العبرة التي تحثّ المسلمين في عصرهم على الاقتداء بالقرآن الكريم.

7- نداء إلى الشعب الجزائري المجاهد:

لقد أحسّ الإبراهيمي بالمسؤولية اتجاه الجانب السياسي الثوري في الجزائر، وهذا الأمر الذي جعله يُجاهد بقلمه في مختلف القضايا التي تندرج ضمن هذا الجانب، فكتب عدّة مقالات يعرض فيها همجية الاستعمار كاشفًا جرائمه، فاضحًا أساليبه الدنيئة، وفي هذا المقال حاول الإبراهيمي الوقوف بالشعب الجزائري وذلك من خلال الكفاح المسلح في وجه العدو والنضال من أجل استرجاع الحقوق المسلوبة، وقد بيّن ذلك بما أقرّ به الله تعالى، يقول الإمام: «**ثمّ ساومتموها على حقوقكم السياسية بدماء أبنائكم الغالية التي**

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 93.

سالت في سبيل نصرها، فعميت عيونها عن هذا الحق الذي يقرره حتى دستورها...»[1].

ومن خلال هذا القول نستحضر قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[2].

وفي هذه الآية الكريمة يبيّن الله تعالى لقوم موسى –عليه السلام- كيف نجّاهم من آل فرعون، حيث كان هذا الأخير يعذبهم سواء العذاب، وهو نفس المعنى الذي تحمله عبارات الإبراهيمي، فقد استغلت فرنسا عقول الجزائريين وفي المقابل ضحّت هي الأخيرة –الجزائر- بأبنائها الشهداء التي سالت دمائهم في سبيل نصرها.

ويستمر الإبراهيمي في تصوير منهجية الاستعمار في طمس المعالم البارزة، ومن ناحية أخرى يُعاتب الشعب الجزائري في السكوت عن حقه وعدم القيام بواجبه وهو إعلان الثورة والكفاح المسلح اتجاه العدو، فيقول في هذا: «**إنّ أقل القليل مما وقع على رؤوسكم من بلاء الاستعمار الفرنسي يوجب عليكم الثورة عليه، من زمان بعيد...**»[3].

وفي هذه العبارة الوجيزة تناص معنوي للآيات التالية: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[4].

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 35.

2- سورة البقرة، الآية 49.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 35.

4- سورة البقرة، الآية 190.

ويقول تعالى أيضًا: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[1].

8- الدين المظلوم:

يتضح لنا هذا المقال بمجرد قراءة للعنوان، حيث يبيّن لنا الإبراهيمي كيف كان الإسلام يظل الكون بعدله وسماحته...، وكان له في المشارق والمغارب مستقر ومستودع[2]، فعند قراءتنا لهذه العبارات نجد نوع من الاقتباس والمتمثل في عبارة "مستقر ومستودع"، فيقتبس فيها الإبراهيمي من القرآن الكريم، وذلك عن طريق التناص المباشر (اللفظي) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[3].

"فمستقر" هنا تعني ثابت في الرحم ومستودع: في القبر حتى يبعث الله عبده لنشر القيامة[4]، وهو ما عَنيَ به الإبراهيمي بالنسبة للإسلام، فمستقر من أوّل ما ولد إلى غاية انقطاع الحياة.

كما وظّف الإبراهيمي تناصًا آخر من القرآن الكريم تمثل في قوله: «**فهم أمّة خلتْ إلى الله أيّابها، وعليه حسابها**»[5].

1- سورة البقرة، الآية 194.

2- ينظر: الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 137.

3- سورة الأنعام، الآية 98.

4- الزمخشري، الكشاف عن غوامض التنزيل، ، ص 389.

5- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 137.

حيث تمثّل هذا التناص من القرآن الكريم، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَّابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ إِلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[1].

والغرض منه تخويف الأمّة من عقاب الله والتذكير بأنّه لابدّ من يوم يرجعون فيه إليه فيُحاسبهم حسابًا شديدًا ويُعذبهم عذابًا كبيرًا، وفي ذلك يستحضر الإبراهيمي حال المنافقين وهم كفار قريش في رجوعهم إلى الله يوم الآخرة، فيتوعدهم بالانتقام والحساب الشديد على كل شيء حسابًا على الصغيرة والكبيرة.

ويقول أيضًا الإبراهيمي: «**لعلمها بأنّ العاقبة للمتقين**»[2]، وقد قال هذا إثر دفاعه عن الدّين أمام الحكومة ويتناص هذا من القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها للذِّينَ عُلُوّا في الأَرْضِ ولا فَسَادًا والعَاقِبَةُ للمُتَّقِينَ﴾[3]. والعاقبة للمتقين يُشير هنا الله إلى الذين اتقوا معاصي الله وأدُّوا فرائضه.

ويُؤكد لنا أيضًا الإبراهيمي أنّ الصبر على المكاره إدراك مرضاة الله تعالى، فيقول: «**وأنّ الله مع الصابرين العاملين المثابرين**»[4]، ويتناص من هذه العابرة من القرآن الكريم من خلال عبارة (إنّ الله معَ الصّابِرِينَ)، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّها الذِّينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ والصَّلاةِ إنّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[5].

1- سورة الغاشية، الآية 25، 26.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 138.

3- سورة القصص، الآية 83.

4- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 138.

5- سورة البقرة، الآية 153.

ويركز الإبراهيمي دائمًا على الألفة والتكافل والتعاون لأنّ النصر لا يكون إلاّ بالتضامن، وقد رأى أنّ الإسلام لا نستطيع إنقاذه من يد العدو إلاّ إذا حصل التحالف والتآخي بين المسلمين، يقول في هذا الصدد: «**ورجعوا إلى كلمة سواء بيننا وبينهم أنْ نتعاون على نصر ديننا، وإنقاذه من اليد الغاصبة**»[1].

ويجتمع هذا القول مع الآية القرآنية التي تقول: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2].

فالدّين الإسلامي مظلوم أمام الحكومة، ولكن شعبه غافلاً عن ذلك وهو ما جعل بالإبراهيمي النضال من أجل إيقاظ الشعوب، يقول في هذا: «**ويومئذ سيوقنون أنّ هذه الحكومة كانت تغري بيننا العداوة والبغضاء لمصلحتها لا لمصلحتنا جميعًا، ولا لمصلحة فريق وأنها تَعدُ وتُمنِّي وما تعدّ إلاّ غرورًا**»[3].

ليتناص الإبراهيمي هذه العبارة من القرآن الكريم من خلال لفظة "إلاّ غرورًا"، يقول الله تعالى: ﴿يَعِدُهُم ويُمَنِّيهم وَمَا يَعِدُهُم الشَّيْطَانُ إلاَّ غُرُورًا﴾[4].

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص139

2- سورة آل عمران، الآية 64.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 139.

4- سورة النساء، الآية 120.

و"غرورًا" هنا تعني باطلاً وكاذبًا[1]، فيُبيّن الله تعالى الذين اتخذوا الشيطان وليًّا من دون الله ويعدهم ويمنّيهم وما كانت هذه الوعود إلاّ كاذبة وباطلة، وقد وضع الإبراهيمي منزلة الحكومة والشيطان في نفس الدرجة لأنها تُعطي هي الأخيرة وعود وأماني كاذبة لشعبها.

ويُشير أيضًا الإمام إلى تناص جاء على شكل اقتباس من الحديث النبوي الشريف، فيقول: «**وسيعلم المتمادون على العناد أننا محضنا النصح، والدّين النصيحة وأننا وفينا، والدّين أمانة، وأنّ الذي أوجب علينا النّصح، أوجب عليهم الانتصاح**»[2].

وفي الحديث: حدّثنا محمد بن العباد المكي... عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري أنّ النبي صلى الله عليه وسلم (الدّين النصيحة)، قلنا لمن؟ قال: «الله وكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[3]، وهو أنّ من واجب المسلم الحق أنْ ينصح ويُرشد أخاه المسلم إلى ما يرضى الله سبحانه وتعالى، ومن واجب الثاني الأخذ بالنّصيحة والعمل بها، وهو ما يراه الإبراهيمي أنّ دور الجمعية هو نصح وإرشاد المجتمع الجزائري وإصلاحه عامة، ورجال الأحزاب السياسية خاصة، ومن واجب الثانية الأخذ بالنّصيحة، والذي يهدف إليه الإبراهيمي هو الوقوف بجانب الجمعية والدّفاع عن الدّين الإسلامي وتحريره من المستعمر ومن الحكومة.

1- الأصفهاني (أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب)، المفردات في غريب القرآن، ج1، مكتبة نزار مصطفى الباز، (دط)، (دت)، ص 150.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ، ص 139.

3- محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، ج4، ص 324.

ويُواصل الإبراهيمي في تناصه من الحديث النبوي، وذلك في قوله: «إنّ الدّين –يا حضرة الرئيس- كالدّيْن قاعدته: مطل الغني ظلم»[1].

ويُوضِّح الإبراهيمي من خلاله أنّ ما تقوم به الحكومة الجزائرية والمجلس الجزائري من تطاول وتأخير في القضية، ما هو إلاّ ظلم واحتقار لمطلب الجمعية في تصعيبها وتعقيدها، مع أنّها في غاية البساطة كما يراها هو، وقد ربط مضمون حديثه هذا بمضمون الحديث النبوي الشريف مقتبسًا من حديث الرسول –صلى الله عليه وسلم-: «مُطِلُ الغَنِيُّ ظُلْمْ، وإذَا اتْبعُ أحَدُكُم عَلَى مَليّ فَلْيَتْبَعْ»[2]، والمقصود هنا من المطل: منع قضاء ما استحق أداؤه فمطل إلى غني ظلم وحرام[3].

مستحضرًا هنا الإبراهيمي علاقة قضية دين الغني بقضية الدين، ذلك في التصعيب والمطاولة في رد الحقوق لأصحابها، فكما أنّ الغنيّ يتطاول في إعطاء المال لصاحبه، يتطاول الرئيس في تسليم الدين الإسلامي لأهله (لقضاة المسلمين)، والهدف منه هو حثّ الحكومة على الاستجابة لمطلب الجمعية ألا وهو فصل الدين عنها.

9- ذكرى 08 ماي:

يُعدّ هذا اليوم يوم تاريخي خالد في نفوس الجزائريين، حيث به رُفعت أقلام المناضل وحُمل سلاح المحارب، في هذا المقال يُبيّن الإبراهيمي بكل حزن حالة الشّعب الجزائري إبّان الاحتلال الفرنسي، فيشجع أمّته على القتال لاسترجاع الحق المسلوب،

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 139.

2- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج3، ص 94.

3- النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأدرن، (دط)، (دت)، ص 995.

يقول في هذا: «**تستحسن العقول قتل القاتل، وتؤيدها الشرائع فتحكم بقتل القاتل**»[1]، ويُحاول الإبراهيمي إقناع الشعب بضرورة القتال مدعمًا قوله من خلال القرآن الكريم، وذلك من خلال عبارة "تؤيدها الشرائع"، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، ويقول أيضًا: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3].

فالقتال لم يعدْ مأذونًا به فقط وإنما صار مكتوبًا على المسلمين، ومفروضًا عليهم، وهو ما جعل الإبراهيمي التأكيد على هذه الظاهرة لما لها فضل في استرجاع الحق المسلوب، وقد استحضر الإبراهيمي هذه النصوص القرآنية-معنا-من خلال الدعوة إلى تذكّر الموت ومطالبة أهل الحقوق حقوقهم، أي أن يؤدي كل حقّ إلى صاحبه كما في عبارات الإبراهيمي الّتي ترمي إلى حكم تشريع القصاص وتنفيذه، ففي ذلك حياة آمنة وشفاء للقلوب، فالقصاص هو الجزاء على الجريمة،بحيث يفعل بالفاعل ما فعل فيقتل القاتل ويجرح الجارح، والموت آت لذا لابدّ من استرجاع الحقوق لأصحابها وسبب تلميحه للقرآن الكريم لتدعيم قوله وتثبيته في النفوس البشرية.

والإبراهيمي رجل متأثر بمجتمعه وأمّته وخاصة بالأوضاع التي يعيشها، فيعرض لنا بعض العبارات يصف فيها حالة أمّته من العزّ والكرامة والحرية إلى الفقر والحرمان، يقول في هذا: «**أمّة كالأمم حلّت بها ويلات الحرب، كما حلّت بغيرها، وذاقت لباس**

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 334.

2- سورة البقرة، الآية 178.

3- سورة البقرة، الآية 179.

الجوع والعري والخوف، وتحيّفت الحرب أقواتها وأموالها، وجرّعت الثكل أمهاتها واليتم أطفالها،...، فقد فتح الناس أعينهم في يوم واحد على بشائر تدقّ بالنصر وعلى عشائر من المنتصرين تساق للنحر، وفتحوا آذانهم على مدافع للتبشير وأخرى للتدمير، وعلى أخبار تؤذن بأنّ الدماء رقأت في العالم كلّه، وأخرى تقول: إنّ الدماء أريقت في جزء صغير من العالم، هو تلك القرى المنكوبة من مقاطعة قسنطينة، وفي لحظة واحدة تسامع العالم بأنّ الحرب انتهت مساء أمس ببرلين، وابتدأت صباح اليوم بالجزائر... إحراق قرى، وتدمير مساكن، واستباحة حرَمات ونهب أموال، وما تبع ذلك من تغريم وسجن واعتقال...»[1].

في هذه الفقرة يتذكر "البشير" حنين ماضي أمّته التي كانت في قمة العزّ والشرف والأمن والسلم، فيرى حالها حال تلك القرية (مكة) التي كانت آمنة مطمئنة، ولما حلّ بأمّته الاستعمار ذاقت بلاده مرارة الحرب والجوع والخوف مثلها مثلما حدث لحال المسلمين، فقد استحضر الكاتب حالة مكة وما كانت تنعم به من قبل وكيف أصبحت من بعد، وهو ما يشبه حالة الجزائريين كيف كانت تنعم وكيف أصبحت بعدما نهبها الاستعمار والحروب.

ولكي يُبيّن الإبراهيمي حالة أمّته وظّف التناص عن طريق الاقتباس والمتمثلة في قوله: "وذاقت لباس الجوع والعري والخوف"، الذي اقتبسه من نص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وضَرَبَ الله مَثَلاً قَرْيَةٍ كَانَتْ آمِنَةً يَأتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ الله فَأَذَاقَهَا الله لِبَاسَ الجُوعِ والخوف بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[2].

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 334، 335.

2- سورة النحل، الآية 112.

والهدف من هذا التناص ليُبيّن الإبراهيمي ما آلت إليه هذه الأمّة (الجزائرية) كان إلاّ التعذيب والتنكيل والمجازر والترهيب (الخوف) والتجويع.

ومن نفس الفقرة السابقة الذّكر وظّف الإبراهيمي تناصًا خارجيًا من القرآن الكريم على شكل اقتباس، حيث وظّف الكاتب قصة أصحاب الكهف وكلبهم والمتمثل في قول الإبراهيمي: **«... فإذا بقي منهم كلب بالوصيد»**[1]، والذي ورد في قوله تعالى: ﴿وتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ونَقلِبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينِ وذَاتَ الشِّمَالِ وكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيد لَو اِطَّلَعْتَ عَلَيْهِم لَوَ لَيْتَ مِنْهُم فِرَارًا ولَمُلِئْتَ مِنْهُم رُعْبًا﴾[2].

وقد صوّرَ الكتاب حال كلب الجزائريين ماكثًا أمام باب البيت حال كلب الفتية ماكثًا أمام مدخل الكهف، وذلك في كلمة "وصيد" وتعني باب[3].

ويُبيّن الكاتب أنّ الاستعمار لم يرحم، فلم يسلم لا إنسان ولا حيوان ولا جماد، إلّا وقضى عليه وأباده، وذلك من خلال قول البشير: "فإذا بقي منهم كلب بالوصيد"، أو من ديارهم غير حصيد، قضى ذلك المنطق فيه الإبادة والمحو، أمّا الغرض من هذا الاقتباس هو تبيين مدى بشاعة الاستعمار وما فعله في الشعب الجزائري.

بعد ويلات دامت سنين ليأتي اليوم الذي ينتظره الشعب المحروم من أبسط حقوقه وهو الحرية والاستقلال، يقول في هذا: «**لكَ الويل أيها الاستعمار! أهذا جزاء من استنجدته في ساعة العسرة فأنجدك واسترخصته حين أيقنت بالعدم فأوجك؟ أهذا جزاء من كان يسهر وأبناؤك نيام، ويجوع أهله وأهلك بطان؟،... أيُشرفك أن ينقلب الجزائري**

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 335.

2- سورة الكهف، الآية 18.

3- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ص759.

من ميدان القتال إلى أهله بعد أنْ شاركك في النصر لا في الغنيمة، فيجد الأب قتيلاً والأم مجنونة من الفزع، والدّار مهدومة أو محروقة، والغلّة متلفة، والعرض منتهكًا، والمال نهبًا مقسمًا، والصغار هائمين في العراء؟»[1].

وهنا يستنكر الكاتب أعمال فرنسا وما قامت به في الجزائريين من أعمال وحشية في حق الجزائريين، وذلك كلّه عندما طالب أهلها بوفاء عهدها ألاَ وهو الاستقلال، وقد استحضر الإبراهيمي في هذه الفقرة النص القرآني والمتمثل في عبارة "أيشرفك أن ينقلب الجزائري؟... إلى أهله"، فقد وظّف التناص عن طريق الاقتباس، وذلك في قوله تعالى: ﴿يأَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيه، فَإِمَّا أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ويَنْقَلِب إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾[2].

وتُبيّن الآية الأخيرة ﴿ويَنْقَلِبْ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ عودة الرجل الصالح إلى أهله في الجنة من المؤمنين أو عشيرته... مسرورًا، وقد استبدل الإبراهيمي كلمة (مسرورًا) في النص الأصلي بكلمة (حزينًا) المحذوفة في نصه، وهو أيشرفك أن ينقلب (يعود) الجزائري إلى أهله حزينًا بعدما يجد العائلة مبادة والدّار مهدومة والأموال منهوبة... إلخ.

والهدف من هذا التناص هو تبيين صورة فرنسا الحقيقية وأفعالها الشيطانية الشنيعة حتى لا يغتر بها الشعب الجزائري.

10- جهاد الجزائر وطغيان فرنسا:

يُبيّن الإبراهيمي هنا جهاد الأبطال ومعجزتهم في الفوز بالمعارك والوقوف الخارق في وجه العدو، يقول في هذا: **«... والبطولات المجيدة التي قام بها شبابها الثائر، وبما**

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 335.

2- سورة الإنشقاق، الآية 06.

أحيت من شرائع الجهاد، وبما سجلت من المواقف الخارقة للعادة من وقوف العدد القليل من أبائها بما يملكون من سلاح يدوي قليل لا يغني فتيلاً في مجرى العادة، وفي وجه جيش يفوقه أضعافًا مضاعفة في العدد والعُدّة والسلاح والنظام والتدريب تسانده جميع الأسلحة العصرية الفتّاكة من طائرات ودبابات ومدافع ثقيلة ووسائل ومخابرات...»[1].

ومن خلال هذه الفقرة يستحضر الإبراهيمي بعض الآيات القرآنية التي تثبت صحة قوله، يقول الله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ الله والله مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2]، وهذا عن طريق التناص الغير مباشر مستعيناً بهذا من القصص القرآنية، من خلال التلميح، التي حدثت فعلاً في معركة بدر ثلاثمائة مقاتل من المسلمين يخوضون معركة ضد ألف مقاتل من المشركين يريدون استئصال شوكة الإسلام من جزيرة العرب... وينتصر في الأخير المسلمون.

وفي الخندق حيث بلغ تعداد مقاتلي جيش المسلمين ثلاثة آلاف تصدُّوا لتحالف الأحزاب الكافرة البالغ عددهم عشرة آلاف وانتصر المسلمون.

ومن قوله تعالى أيضًا: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3].

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 216.

2- سورة البقرة، الآية 249.

3- سورة الأنفال، الآية 66.

وقد نزلت هذه الآية لضعف المسلمين في القتال فأمر الله الرجل من المؤمنين أنْ يُقاتل رجلين من الكفار[1].

والغرض من هذا الاقتباس أنْ يُبيّن الإبراهيمي أنّ الله مع الفئة المظلومة وناصرها بإذن الله، وحتى يُبيّن قدرة الله تعالى ومعجزته.

وقد عمل الشعب الجزائري على طرد الاستعمار وتقليصه وذلك من خلال التّعاون، يقول الإبراهيمي في هذا: «**... وتعاونهم دول قوية تشفق على الاستعمار أن يتقلص ظلّه**»[2].

ويتناص الإبراهيمي هذه العبارة من القرآن الكريم عن طريق الاقتباس وذلك من خلال لفظة "ظلّ" لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِلّ﴾[3]، ونجد كلمة ظل واردة في كلا الحديثين ولكنها تحمل معنيين مختلفين، حيث ما جاء في الآية تمديد الظل وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس[4]، أمّا ما قاله الإبراهيمي فهو تقليص الظل، بمعنى محاولة القضاء على الاستعمار وانقطاع امتداده.

فالاستعمار جاء ليُضعف الشعوب ويُفقرهم من أموالهم وإنسانيتهم حتى يجعلهم عبيد لهم، فيقول الإبراهيمي: «**كأنّ لها متعة ولذّة في إذلال الشعوب الضعيفة واستعبادها**»[5].

1- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ص 510.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 216.

3- سورة الفرقان، الآية 45.

4- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ص 415.

5- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص216.

هذه العبارات تجعلنا نستحضر قول عمر رضي الله عنه عندما قال: «متى استعبدتم النّاس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا».

وقد جاء هذا التناص على شكل تلميحًا لقصة جرت أحداثها على هذا القول، وظّفه الإبراهيمي لتدعيم قوله خاصة أنّ عمر بن الخطاب كان معروف بالعدل والحق آنذاك فيُعطي لكل ذي حقه.

لقد دخلت الجزائر التاريخ من بابه وسجلت اسمها في الخالدين ذاكرة أبنائها بالمدح والثناء، وهذا من خلال الجهاد بالنفس كما استطاعوا تقديم للثورة كل ما تتطلبه من أموال باهضة، وهذا بفضل الجهاد المادي التي بذلته، يقول في هذا الإبراهيمي: **«... هذا ما قامت به الجزائر وحدها في قسم الجهاد بالنفس، حيث كتبت اسمها في التّاريخ بعد أنْ كان اسمها خاملاً مغمورًا عند كثير من الشعوب، وبالنسبة للجهاد المادي فإنّ الجزائر تعتمد على الله وعلى نفسها وعلى ما أبقاه لها الاستعمار من فتات...»**[1].

ويستحضر الإبراهيمي معنى هذه العبارات من خلال القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2]، وقد وظّف الابراهيمي هذا التّناص ليستعلي بمكانة الجزائريين وأنّ جزائهم خلود الجنة وهو بما وعد الله عباده المجاهدين الصّابرين في سبيل الله.

1- ينظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 217.

2- سورة التوبة، الآية 41.

فقد شبّه الإبراهيمي الاستعمار كأفعال الشيطان، حيث سلب الأرض من شعبها وخرجت الفلاحة من يد أهلها، وفي هذا يقول: **«... ووجد المعمّر ما يصبوا إليه من قطع الأرض التي بقيت بيد الأهلي معروضة للبيع بالثمن البخس»**[1].

ويتناص الإبراهيمي هذه العبارة من القرآن الكريم، من خلال ما جاء في قوله: "الثمن البخس"، حيث يستحضر هنا قصة سيّدنا يوسف عليه السلام، حينما باعوه إخوته للسيّارة بثمن ضئيلاً، وكان بيعه حرام، يقول الله تعالى: ﴿وشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ منَ الزَّهِدِينَ﴾[2].

والغرض من هذا التوظيف ليدعّم الإبراهيمي بما جاء في قوله وليُبيّن قيمة الشيء الثمين كيف تستغله العقول الجاهلة الظالمة.

رغم الاضطهاد الذي عاشه الشعب الجزائري، إلاّ أنّه قوي الإيمان كثير الشجاعة، لأنّه يعلم أنّ جزاء المجاهد المناضل وخاصة الصبور هو الجنة والنّعيم، واعتقاده الجازم بأنّ جزاء الاستعمار هو العذاب الشديد، يقول في هذا: **«... واعتقاده الجازم بلؤمه وكذبه وإخلافه للوعود المرة بعد المرّة وعدم خجله من الخزي والموبقات»**[3].

ويتناص الإبراهيمي من القرآن الكريم من خلال قوله في "الخزي"، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4].

1- ينظر: الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 217.

2- سورة يوسف، الآية 20.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 218.

4- سورة البقرة، الآية 114.

والله هنا يوعد الذين تعدُّوا على حرمات الله بعذاب قد أعدّه لهم في الدنيا أعظم من عذاب الآخرة، وقد استحضر الإبراهيمي هذه الآية ليُبيّن بها عذاب الاستعمار الذي سلب الأراضي والمساجد والمدارس وأكثر من هذا وعوده الكاذبة في كلّ مرّة التي يعد بها الشعب الجزائري.

ومن نفس الفقرة السابقة يُشير الإبراهيمي إلى الحديث النبوي الشريف وذلك من خلال ما جاء في قوله: "الموبقات"، فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السّبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله ما هنّ؟ قال: الشرك بالله، والسّحر، وقتل النّفس التي حرّم الله إلاّ بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[1].

وسبب تلميح الإبراهيمي لهذا الحديث النبوي هو كشف عن المهلكات التي اقترفها الاستعمار في حقّ الشعب الجزائري.

11- مقال عيد الأضحى:

يصف الإبراهيمي في هذا المقال حالة الأمم والشعوب يوم العيد، حيث يتشوقون إلى استقباله بالغفران والسماح، والمحبّة والتّآخي، يقول في هذا الإبراهيمي: «**إنّ هذه الأمم التي تدين بتعظيمك، وتتيمّن بورودك، وتُقيم شعائر الله في يومك، ... وتجتلي في غرّتك اليسر والسماح...**»[2].

وفي عبارات الإبراهيمي هذه يتناص من القرآن الكريم، وذلك في عبارة "شعائر الله"، وبما تحتويه هذه الشعائر من تسبيح وتكبير وتهليل، وهو تناص لفظي ومعنوي،

1- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج4، ص 10.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 467.

وذلك لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمُ شَعَائِرَ الله فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى القُلُوبِ﴾[1]. ولما لهذه الشعائر من تعظيم وخشية لله تعالى.

فيوم العيد يوم عالمي للدّين الإسلامي، ينعم فيه الله على عباده المسلمين بالكثير من النِّعم والفضائل، يقول الإبراهيمي: **«... وفيك يتنّفس المختنقون في جو من السعة، وفيك يذوق المعدمون طيبات الرِّزق...»** [2]. ففي لفظة "يتنفس" تناص لفظي من القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[3]، وبمعنى أنّ الصّبح إذا أقبل، أقبل بإقباله روح ونسيم[4].

وقد استحضر الإبراهيمي هذا التناص للدلالة على الخروج من حالة إلى حالة أخرى، ففي الآية الكريمة يخرج الصبح من الظلام إلى النور والضياء كما يخرج المختنقون من الضيق إلى السِعَة.

ونجد أيضًا عبارة "طيبات الرِّزق" من الفقرة السّابقة يتناص فيها الإبراهيمي من القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم﴾[5].

استحضر الإبراهيمي هذه الآية عن طريق التناص المباشر (لفظي ومعنوي) حيث تعتبر أضحية العيد من طيبات الرِّزق التي أحلّها الله تعالى لعباده.

1- سورة الحج، الآية 32.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 467.

3- سورة التّكوير الآية 18

4- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ص 1528.

5- سورة البقرة، الآية 173.

وتذكرنا هذه المناسبة –عيد الأضحى- بأكبر حدث تاريخي وإسلامي، وكذلك شخصيات إسلامية دينية، يقول الإبراهيمي في هذا: «**إن تفاخرت الأيام ذوات الشيات والمياسم، والمواكب والمواسم، فيومك الأغرّ المشهّر، وإن أتت الأيام بمن له فيها ذكر من الرجال، أو بمن شرفها بنسبة من الأبطال، جئت بإبراهيم، وإبراهيم آدم النبوة، وبإسماعيل، وإسماعيل سامك البنية القوراء، وعامر الحنيّة القفراء، ورمز التضحية والفداء،... وبمحمد، ومحمد لبنة التمام، ومسك الختام، ورسول السلام...**» [1].

وتمثلت هذه الشخصيات في: "إبراهيم، آدم، إسماعيل، محمد –صلى الله عليه وسلم- عليهم السلام".

كما ذكر الإبراهيمي في الفقرة السابقة أكبر حادثة يشهدها التّاريخ الإسلامي، وهي تضحية سيدنا إسماعيل، وذلك من خلال عبارة الإبراهيمي "التضحية والفداء"، حيث جاءت هذه القصة في رؤيا رآها إبراهيم عليه السلام في المنام، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾[2]. وكما هو معلوم أنّ رؤيا الأنبياء وحي.

وقد استجاب سيّدنا إسماعيل –عليه السلام- لوالده ولأوامر الله تعالى، بكل حب وطاعة صابرًا محتسبًا، مرضيًا لربّه، وبارًا بوالده ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَبتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ بِهِ سَتَجَدُنِي إِنْ شَاءَ الله مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[3].

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 468.

2- سورة الصافات، الآية 102.

3- سورة الصافات، الآية 103.

وقد كان غرض هذا التناص ليُبيّن الإبراهيمي تمام الفداء والتضحية وكمال الامتثال لأوامر الله تعالى، سواءً من الأب الذي أُمِر أنْ يذبح ولده أو من الابن الذي لم يتذمر ولم يرفض بل هانت نفسه أمام إرضاء الله تعالى.

وليتنقل الإبراهيمي لأكبر شخصية كانت عادلة في العهد الإسلامي، حيث حكمت بالحق والعدل، وعدم حيادته عنه لأي سبب، وتحت أيّ ظرف كان، يقول الإبراهيمي: «**وهذه فلسطين التي عظّمت حرماتك ثلاثة عشر قرنًا ونصف قرن وتأرج ثراها بالأثر العاطر من إسراء محمد، وتضمخ بدماء الشهداء من أصحابه، وطمأنت –من أول يوم- قلوب أبنائها بهدي القرآن، وجنوبهم بعدل عمر**»[1].

وقد كان غرض هذا الاستحضار ليُبيّن لنا حالة فلسطين عندما كانت تهتدي بالقرآن وتحكم بعدل عمر رضي الله عنه، قبل أن يجتمع على اهتضامها عتو الأقوياء.

فقد كان عمر رضي الله عنه أكبر النّاس آنذاك معروف بالحق والعدل ودليل ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنّ الله جَعَلَ الحقَّ عَلى لِسَانِ عُمر وقَلبِه»[2]. وقد استحضر الإبراهيمي هذا التناص عن طريق التلميح.

ومن نفس الفقرة السابقة في حديث الإبراهيمي عن فلسطين، بعدما دخلها العدو الظالم المستبد، يقول الإبراهيمي في حديثه عن المستعمر إسرائيل الذي انتهك أرض فلسطين: «**... يريدون أن يمحوا المعالم منها، ويحسروا ضلال القرآن عنها... يريدون**

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 468.

2- محمد عيسى الترمذي، سنن الترمذي، ج5، ص 617.

أن يحققوا فيها حلمًا غلطوا في تفسيره، وأن ينصبوا فيها مسيحًا دجالاً، بعد أنْ كذّبوا المسيح الصادق»[1].

ويستحضر الإبراهيمي من خلال هذه الفقرة شخصيتان الأولى متمثلة في شخصية مستبدة ظالمة شديدة الفتنة، وهي المسيح الدجال، أمّا الثانية فهي شخصية إسلامية دينية والمتمثلة في عيسى ابن مريم عليهما السلام، وذلك في قوله "المسيح الصادق" وكان هذا التناص عن طريق التلميح.

كما تحدّث الإبراهيمي عن أكثر بلد قد أشرف عليه الأنبياء وخاصة في وقت الحاجة، يقول الإمام في هذا: «**وهذه مصر كنانة السهام أرض العبقرية، وسماء الإلهام، وقِبلة العرب... بعد أنْ أنقذها الإسلام من تعبّد الفراعنة الأوّلين، وإنّ فرعون الجديد لعال في الأرض وانّه لمن المفسدين**»[2].

هذه الأرض الإسلامية حظيت بترحيب الأنبياء الذي عاشوا على أرضها وأكثر من هذا فقد ذكرت أكثر من مرّة في كتاب الله العزيز، لقوله تعالى: ﴿اِهبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم فِيهَا مَا سَأَلْتُمْ﴾[3]. ويقول أيضًا: ﴿اُدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ الله آمِنِينَ﴾[4]، وقد تمثّل هذا التناص عن طريق لفظة "مصر" ووظّفها الإبراهيمي عن طريق التلميح.

ويقول أيضًا الإمام من نفس هذه الفقرة في عبارة فرعون الجديد لعَال في الأرض، وإنّه لمن المفسدين"، فيتناص الإبراهيمي مرّة أخرى عن طريق التناص المباشر (لفظًا

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص469.

2- نفسه، ج3، ص469.

3- سورة البقرة، الآية 61.

4- سورة يوسف، الآية 99.

ومعنى) من القرآن الكريم، يقول في هذه الآية: ﴿إِنّ فِرْعَونَ عَلاَ في الأَرْضِ وجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَائَهُمْ ويَسْتَحْيِي نِسَائَهُم إِنَّهُ كَانَ مِنَ المُفْسِدِينَ﴾[1].

إنّ فرعون تجبّر في أرض مصر وتكبّر على أهلها وقهرهم، حتى أقرُّوا له بالعبودية.

وقد كان استحضار الإبراهيمي لهذه الآية عن طريق التناص خدمة لموضوعه وحتى يُبيّن حالة مصر آنذاك، وكيف طغى فيها فرعون بالفساد.

ويقول الإبراهيمي أيضًا في هذا المقال: «**وهذا الشمال(*) قد أصبح أهله كأصحاب الشمال، في سموم من الاستعمار، وحميم وظل من يحموم، لا بارد ولا كريم، أفسد الاستعمار أخلاقهم، ووهن عزائمهم**»[2]. وقد شبّه الإبراهيمي سكان الشمال كأصحاب الشمال الذين ذكرهم الله في القرآن الكريم.

لقوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَال مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سُمُومٍ وحَمِيمٍ وَظِلٍ مِنْ يَحْمُومٍ لا بَارِدٍ ولا كَرِيمٍ﴾[3].

وقد حَسن الإبراهيمي توظيف هذه المفردات في قوله، ففي الآية في سموم يعني في حرّ نار ينفذ في المسام، وحميم ماء حار لا متناه في الحرارة وظلّ من يحموم من دخان

1- سورة القصص، الآية 04.

(*) يُريد شمال إفريقيا.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 469.

3- سورة الواقعة، الآيات: 41، 42، 43، 44.

أسود بهيم، وقد وضعت ظلّ ليس لمفهومه ونفعه لمن يأوى إليه من أذى الحرّ ولكن المعنى أنّه ظلّ حار وضار[1].

وقد اقتبس الإبراهيمي هذه الآيات حتّى يبيّن بها جزاء أهل شمال إفريقيا وأنّ عذابهم كعذاب أصحاب الشّمال، وما أعدّه الله لهم. كما وصف لنا الابراهيمي بلد تركيا بقوله: «**وهذه تركيا ذات السلف الصالح في رفع، وإقامة شعارك، واقفة على صراط أرق من السيف**»[2].

ويتناص الإبراهيمي قوله هذا من الحديث النبوي الشريف، وذلك من خلال عبارة "صراط أرق من السيف"، يقول صلى الله عليه وسلم: «ينصب جسر فوق جنهم اسمه الصراط بعرض جنهم كلّها، أدقُّ من الشعرة، أحدُّ من السيف، شديد الظلمة...» [3].

وقد استحضر الإبراهيمي هذا الحديث عن طريق التناص اللفظي، أمّا من حيث المعنى، فحديث الرسول عليه الصلاة والسلام يُبيّن لنا حالة الأمّة عندما تمرّ على هذا الصراط، ويكون هذا حسب أعمال النّاس فإنْ كانت تدعو للخير فمثابها الجنة، وإنْ كانت تدعو للشر مثابها جنهم التي تنتظره تحت الصراط.

أمّا الإبراهيمي، فقد وصف حالة تركيا وهي واقفة على ضفة الهلاك فإمّا تقع بين يدي دبٍّ عارم يترقب الفرصة لازدرادها أو بين محتال بارع يمد الشباك لاصطيادها[4].

1- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ص 1110.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 469.

3- نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج10، باب ما جاء في ميزان والصراط والورود، ص 359.

4- ينظر: الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص469.

بالإضافة إلى هذا يُبيّن لنا الإبراهيمي من خلال مقاله هذا فضل الله تعالى على عباده حين يقول: «**وهو يتنزل الغيث من غير مصبه**»[1]، وقد استحضر الإبراهيمي هذا القول من القرآن الكريم، وذلك عن طريق التناص الخارجي اللفظي والمعنوي لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الذِّي يُنَزِّلُ الغَيْثَ مَنْ بَعْدَمَا قَنِطُوا﴾[2]، فالله ينزل المطر بعد يأس الناس من نزوله، فينزله في وقت حاجتهم وفقرهم إليه.

وقد كان هذا الاستحضار حتى يُبيّن الإبراهيمي قدرة الله ومعجزته على عباده، ودليل ذلك من القرآن الكريم.

ويقول الإبراهيمي: «**وما أخلفت من ربكم المواعيد، ولكنكم أخلفتم، وأسلفتم الشر فجزيتم بما أسلفتم** [3]، ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**﴾»[4].

ويتناص الإبراهيمي هذا القول عن طريق الاقتباس وليُبيّن من خلال هذا التناص أنّ وعد الله حقٌّ، فمن آمن بالله حق الإيمان وعمل صالحًا بما جاء به القرآن ينجز الله له وعده، إلاّ من أبى واستكبر على ذلك، فقد ظلم نفسه وينجز له الله أيضًا بما وعده به يقول الإبراهيمي في هذا: «**وما ظَلَمكم الله ولكن ظَلَمتم أنفسكم**»[5].

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3 ص 470.

2- سورة الشورى، الآية 28.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 470.

4- سورة النور، الآية 55.

5- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 470.

وقد اقتبس الإبراهيمي قوله هذا من القرآن الكريم عن طريق التناص الخارجي (اللّفظي والمعنوي) للآية التالية: ﴿إنّ الله لاَ يَظْلِم النَّاسَ شيْئًا ولَكِنَّ النَّاس أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1]. والله قد سلبهم ذلك باستحقاق منهم سلبه لذنوب اكتسبوها فحق عليهم قول ربهم.

12- أثر الصوم في النفوس:

لقد جعل الله عزّ وجلّ لعبده المسلم المتّقي امتحانات متمثلة في شعائر مفروضة عليه، من بين هذه الشعائر الصوم وذلك ليتقرب العبد من ربّه وليقوي إرادته وعزيمته في الإقدام على الخير، لا ليضيق بها عليه (المسلم). وفي هذا يقول الإبراهيمي: «**وامتحانات الإسلام متجلية في هذه الشعائر المفروضة على المسلم... وما يُريد الله ليُضيِّق بها على المسلم، ولا ليَجعل عليها في الدين حرجًا...**»[2].

ونجد من خلال هذه العبارة الأخيرة من قول الإبراهيمي "ولا ليجعل عليه في الدين من جرحًا" تناصًا من القرآن الكريم، وذلك عن طريق الاقتباس لقول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُم فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[3].

وقد كان الغرض من هذا التناص ليُبيّن الإبراهيمي أنّ الله تعالى ما جعل في الإسلام من ضيق، بل العكس فالله جعل اليُسر في كلِّ شيء.

1- سورة يونس، الآية 44.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 475.

3- سورة الحج، الآية 78.

كما جعل الله هذه الشعائر الإسلامية تحررًا من تعبد الشهوات وملكها لعنانه، يقول الإبراهيمي في هذا: **«... ومازالت الشهوات الحيوانية موبقًا للآدمي منذ أكل أبواه من الشجرة»**[1].

ومرّة أخرى يتناص الإبراهيمي من القرآن الكريم، وذلك لقوله تعالى: ﴿وجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَوْبِقًا﴾[2].

وهو تناص لفظي في كلمة "موبقًا"، وقد وظّفه الإبراهيمي وحَسُنَ استعمال موقعه، وذلك في حاجته لتقوية المعنى وتوضيحه من خلال الرجوع للقرآن، فمعنى لفظة (موبقا) في الآية: وتعني: (مُهلكًا)[3]، وقد استعملها الإبراهيمي بنفس المعنى، حيث أنّ تلك الشهوات كانت مهلكًا للإنسان.

ومن نفس الفقرة السابقة يتناص الإبراهيمي عن طريق القصص القرآنية، وذلك في عبارته: "منذ أكل أبواه من الشجرة"، وقد وظّف الإبراهيمي هذا التناص عن طريق التلميح، وذلك لإثراء ذهن المتلقي.

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ، وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ، فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 475.

2- سورة الكهف، الآية 52.

3- الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 420.

الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ، قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ، قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ، قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[1].

ويقول الإبراهيمي أيضًا من نفس الفقرة السابقة: «**ليحرره من تعبّد الشهوات الحيوانية...، حكمه من الله في تعليق سعادة الإنسان وشقائه بكسبه، ليحيا على بيّنة، ويهلك عن بيّنة**»[2].

ونجد في عبارة "ليحيا عن بيّنة، ويهلك عن بيّنة" تناص من القرآن الكريم، لقوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

وقد ربط الإبراهيمي قوله النص الحاضر بالنص الغائب (القرآن الكريم) من خلال معنى الآية في ﴿مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾، بمعنى هذا ليصدر كفرٌ كم كَفر عن وضوح بيّنة، حتى لا تبقى له على الله حجّة، ويصدر إسلام من أسلم أيضًا عن يقين وعلم بأنّه دين الحق الذي يجب الدّخول فيه والتّمسك به، أي ليعيش من عاش منهم عن حجّة لله قد أثبتت له وظهرت لعينه[4]. فوظّف الإبراهيمي هذا التناص بطريقة مباشرة.

1- سورة الأعراف، الآيات: 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، ص 475.

3- سورة الأنفال، الآية 42.

4- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ص 486.

في مجمل ما ذكرناه من نماذج نستطيع القول أنّ "البشير الإبراهيمي" من أصحاب الالتزام في الأدب حيث يرى أنّ من واجب الأدب -بصفة عامّة- تهذيب النّفس، وتعليم العقل وهداية الإنسان إلى قمّة المكارم الأخلاقية لخلق مجتمع ديني أخلاقي مثالي، فحاول أن يحقّق بكتاباته -والمتمثّلة في المقال- هذه الأمنية البشرية حيث يكون فيها الفلاح والفوز للإنسان، فقام الإبراهيمي بتعليم النّاس التّعاليم الدّينيّة والأحكام الإسلامية مستلهما بالآيات القرآنية والأحاديث النّبوية ولاسيّما الأحداث والقصص القرآنية الّتي بيّن بها للنّاس القيم الدّينية الأخلاقية الفردية والاجتماعية الّتي لها دور رئيس في حياة الإنسان، فآثاره حافلة بهذه الفضائل ونراه يلعب دور المرشد والقائد الديني للنّاس.

وللتّناص الدّيني دور عظيم في مقالاته فيستخدم التّناص القرآني لفظيا كان أو معنويا لتبيين أفكاره ومعتقداته التي تكوّنت منذ أيم طفولته حيث كان خاضعا لتربية قرآنية دينية.

خاتمة

خاتمـــة:

ومن النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدّراسة:

- أنّ التّناص هو ظاهرة متغلغلة في تراثنا النّقدي والبلاغي، وقد تعدّدت المصطلحات المتّصلة بهذه الظّاهرة، فتناقلها الدّارسون وأضافوا إليه تعريفات جديدة، ممّا يصعب على الباحث إيجاد تعريف جامع لمصطلح التّناص يعتمد عليه في تطبيقه على النّصوص، ولكن يستطيع استخلاص مقوّماته من مختلف التعاريف ويوجه التطبيق تبعًا لثقافته الخاصّة.

- تزخر مقالات الإبراهيمي بالتّناص الدّيني الذي كان له الأثر البالغ في تشكيل مقالاته على أنواعه، من القرآن الكريم الذي كان جزءًا كبيرًا من التجربة، والحديث النبوي الشريف والقصص والأحداث التّاريخية الدّينية.

- توصّلت الدّراسات النّقدية إلى أنّ التّناص عملية تداخل نصوص قديمة وحديثة، ولكن التّناص في مقالات "الإبراهيمي" قد ورد بطريقة عفوية لأنّه أراد من القرآن الكريم والحديث النبوي الإقناع، وبهدف إصلاح ومعالجة القضايا الجزائرية، وتوظيفه للشخصيات الدّينية كانت من أجل الامتثال لهذه الشخصيات القيّمة وعلوقها بوجدان النّاس وحتى تكون قُدوة حسنة لمجتمعه.

- كان لحضور التّناص الدّيني في مقالات "البشير الإبراهيمي" بأشكال وأنواع مختلفة، فنجد في القرآن الكريم والأحاديث النبوية على النّوع الخارجي، على مستوى الكلمة المفردة وعلى مستوى الجملة والآية والمتمثل هذا في التّناص المباشر، كما يتجاوز ذلك في توظيف التّناص عن طريق المعنى والمتمثل في التّناص الغير مباشر، بمعنى آخر فقد جسّد التّناص المباشر في الاقتباس أمّا الغير مباشر فقد جسده عن طريق الإشارة (التلميح)، ونجد هذا النّوع الأخير قد وظّف من خلاله القصص والأحداث الدّينية، وقد

ساعده التّناص على مستوى هذا النوع (القصص القرآنية) في إعادة تشكيل القصة وفق منظور معاصر ودلالة جديدة تعكس القصّة كما وردت في الكتب الدّينية.

- جعل الإمام "محمد البشير الإبراهيمي" مقالاته زاخرة بمختلف الإبداعات الجمالية التي أثرتها وجعلتها أكثر تشويقًا ومُتعة.

- فالإمام وّظّف التّناص للتعبير عن واقع عاشه وتجربة مرّ بها حاول من خلالها أنْ يُعطي كلّ ما يملك من قدرات وإمكانيات فنية في هذا العمل لأنّه آخر ما جرّه قلمه، فأراد له الاستمرار في أذهان النّاس ودوام ذكراه في قلوبهم يُخلّده التّاريخ حتى بعد رحيله عن الحياة.

وأخيرًا أرجو أنْ يكون هذا البحث المتواضع حلقة مُكمّلة أُضيفت إلى سلسلة البحوث قد يستفيد من يأتي بعدنا، فيفتح أمامه باب الاطّلاع والانتفاع.

ونختم قولنا بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤاخِذْنَا إِنْ نَسَيْنَا أو أَخْطَأْنَا﴾.

وما التوفيق إلاّ من عند الله.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم، برواية ورش.

ثانيًا: المعاجم والقواميس:

1- إبراهيم مصطفى أحمد الزيات، المعجم الوسيط، ج1، دار الدّعوة للطباعة والنشر، إسطنبول، ط2، 1972م.

2- ابن منظور، لسان العرب، ج6، دار صادر، بيروت، 1988م.

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة [ق و ل]، تحقيق: عامر أحمد حيدر دار صادر، بيروت، ط3، 2004م.

4- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللّغة، مادة [ن ص]، مؤسسة الرسالة، ط2، 1986م.

5- أحمد رضا، معجم متن اللّغة، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1960م.

6- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار المعرفة، بيروت، ط4، 2009م.

ثالثًا: المصادر والمراجع.

*- باللّغة العربية:

1- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1963م. (ج1، ج2، ج3، ج4، ج5).

2- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ج2، دار المعارف، القاهرة، (دط)، 1963م.

3- محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، دار الأمة، الجزائر، (دط)، 2007م.

4- جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التّميمي، الديوان، ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليا الحاوي، ج1، الشركة العالمية للكتاب، ط2، 1995م.

5- ابن الخلوف القسنطيني، ديوان الجني الجنتين، في مدح خير الفرقتين، تح: العربي دحوا، دار هومة، الجزائر، 2004م.

6- ابن خلدون، المقدمة، تح: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 1996م.

7- ابن رشيق القيرواني، (أبي علي الحسن)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد عبد القادر، أحمد عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1422هـ/2001م.

8- ابن عاشور الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدّار التونسية للنشر، تونس، (دط)، 1984م.

9- ابن عبد ربه أحمد، العقد الفريد، ج2، المطبعة الشرقية، القاهرة، 1916م.

10- ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج3، تخريج: محمود بن الجميل، دار الإمام مالك للتجليد الفني، الجزائر، ط1، 2006م.

11- أبو الطيب صديق بن حسن خان الحسيني القنوحي البخاري، السراج الوهاج، صحيح مسلم بن الحجاج، حققه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، نشر وزارة الشؤون الدينية، قطر، ج5، 1984م.

12- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دط)، 1985م.

13- أحمد أمين، النقد الأدبي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج1، (دط)، 1952م.

14- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،(دط)، 1984م.

15- أحمد شوقي، الشوقيات، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، (دط)، (دت).

16- أسعد السحرياني، مالك بن نبي مفكر إصلاحيًا، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط2، 1986م.

17- الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج1، مكتبة نزار مصطفى الباز، (دط)، (دت).

18- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ترتيب وضبط وتصحيح: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (دط)، ج4، 1472هـ/1976م.

19- الزمخشري، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، تخريج: الإمام الزيعلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1407هـ.

20- الزوزني، شرح المعلقات السبع (معلقة امرئ القيس)، دار صادر، بيروت، ط1، 2002م.

21- الزوزني، شرح المعلّقات السّبع (معلقة عنترة)، دار صادر بيروت، ط1 2002م.

22- الفرزدق، الديوان، ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليا الحاوي، ج1، الشركة العالمية للكتاب، ط2، 1995م.

23- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: فوزي عطوان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط4، 1998م.

24- النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأدرن، (دط)، (دت).

25- أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، مطبعة مدبولي، القاهرة، ط2، 1985م.

26- أنيسة بركات درار، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

27- بدر شاكر السيّاب، الدّيوان، تح: ناجي علّوج، دار العوّة، بيروت،1971م.

28- بدوي طبانة، السرقات الأدبية، دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (دط)، 1986م.

29- جاسم عاصي، قراءة التناص الموروث في النص الرافد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، مارس 2000م.

30- جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشهر الجزائري المعاصر، دار هومة للنشر، الجزائر، (دط)، (دت).

31- خليل الموسى، التناص والأجناسية في النص الشعري، الموقف الأدبي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، المجلد 62، أيلول 1996م.

32- سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي (من أجل وعي جديد بالتراث)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1992م.

33- سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، (دط)، 1992م.

34- سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي، من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1992م.

35- سعيد يقظين، انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1992م.

36- سليمان كاصد، علم النص، دراسة بيناوية في الأساليب، الدّار المصرية اللبنانية، القاهرة، (دط)، (دت).

37- شرف عبد العزيز، أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة، دار الجيل، بيروت، (دط)، 2000م.

38- صابر عبد الدائم، حسين علي محمد، فن المقالة، دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، ج1، ص 26. نقلاً عن: محمد العويني، المقالة في الأدب السعودي الحديث.

39- طرفة ابن العبد، الديوان، شرح وتقديم، سعيدي الحسناوي، دار الكتاب العربي، بيروت، (دط)، 1424هـ/2004م.

40- عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلامية، مقدمة العلاّمة البشير الإبراهيمي، ط2، الجزائر، مكتبة الشركة الجزائرية، 1966م.

41- عبد العاطي شلبي، فنون الأدب، المكتب الجامعي الحديث، ط1، 2005م.

42- عبد العزيز شرف، فن المقال الصحفي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (دط)، 2000م.

43- عبد اللطيف السيد الحديدي، فن المقال في ضوء النقد الأدبي، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، ط3، مصر، 2003م.

44- عبد الله الركيبي، فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الجزائر، (دط)، (دت).

45- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتفكير، النادي الأدبي الثقافي جدة، السعودية، ط2، سنة1991م.

46- عبد الملك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009م.

47- عبد الملك مرتاض، الكتابة أو الحوار النصوص الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، المجلد 28، تشرين الأول 1998م.

48- عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1945)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

49- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، المنشأة الشعبية للنشر، (دط)، (دت).

50- عمر عبد الواحد، دوائر التناص، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2003م.

51- كعب بن زهير، الديوان قراءة وتقديم: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.

52- مالك بن نبي، في مهب المعركة، مطبعة دار الجهاد، القاهرة، (دط)، 1972م.

53- محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مركز الزيتونة، بيروت، (دط)، 2012م.

54- محمد الجعافرة، التناص والتلقي، دراسات في الشعر العباسي، دار الكندي، الأردن، (دط)، 2003م.

55- محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

56- محمد الميلي، ذكريات ومن البراءة، دار القصبة للنشر، الجزائر، (دط)، 2012م، ص ص 405-406.

57- محمد بن إدريس الشّافعي، الديوان، ط3، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2005م.

58- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج1، تح: محمد زهير ناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

59- محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تح: محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دط)، (دت).

60- محمد بنيس، حداثة السؤال، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، (دط)، (دت).

61- محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ط1، دار العودة، بيروت، 1979م.

62- محمد خير البقاعي، آفاق التناصية، المفهوم والمنظور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (دط)، 1998م.

63- محمد طهاري، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1992م.

64- محمد عباس، الإبراهيمي أديبًا، ديوان المطبوعات الجامعية، دار الفجر، وهران، الجزائر، (دت).

65- محمد عزام، النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، مكتبة الأسد، (دط)، 2001م.

66- محمد فارس سليمان عبد المنعم، مظاهر التناص الديني في شعر أحمد مطر، نابلس، جامعة النجاح الوطني، 2005م.

67- محمد مفتاح، المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1999م.

68- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1992م.

69- محمد مفتاح، دينامية النص، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1990م.

70- محمد مهداوي، البشير الإبراهيمي، نضاله وأدبه، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1988م.

71- محمد ناصر، أغنيات النخيل، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دط)، 1981م.

72- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.

73- محمد يوسف نجم، فن المقالة، دار الثّقافة، بيروت، ط4، 1966م.

74- محي الدين بن شرف النوي، متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).

75- مصطفى السعدني، البينات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة، (دط)، (دت).

76- منير حميد البياتي، النظم الإسلامية، دار النشر، عمان، الأردن، ط1، 1994م.

77- موسى ربابعة، التناص في نماذج من الشعر العربي الحديث، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، ط1، 2000م.

78- نهلة فيصل الأحمد، التفاعل النصي، التناصية (النظرية والمنهج)، كتاب الرياض 104، مكتبة اليمامة الصحفية، (دط)، 1423هـ.

79- نهلة فيصل الأحمد، التفاعل النّصي، التناصية، النظرية والمنهج، كتاب الرياض 104، مكتبة اليمامة الصحفية، الرياض، المملكة السعودية، 1423هـ.

80- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، الجزء الثاني، دار هومة للطبع، الجزائر، (دط)، (دت).

81- نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، (دط)، 1412هـ.

82- نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1981م.

*** باللّغة الأجنبية:**

1- Bernard le Charfomier Dominique, rincé piere, Brumel Chistiane maatti, littérature texte et dicuments, introdaction historique de pierre Miquel xx siecle, collection herni litterrand, France, Juilliet 1998.

2- le petit la rouse compacte, le premier du piecle, Canada, Juliet 2000.

*** الكتب المترجمة:**

1- تزفيتان تودوروف، الشعرية، تر: شكري المبخوت، ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1987م.

2- تزفيتان تودوروف، ميخائيل باختين، المبدأ الحواري، تر: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1996م.

3- تيزفيتان تودوروف وآخرون، في أصول الخطاب النقدي الجديد (مفهوم التناص في الخطاب النقدي)، تر: أحمد المديني، دار الشؤون الثقافي، بغداد، العراق، (دط)، 1987م.

4- جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزّاهي، دار توبقال للنشر، المغرب، (دط)، 1991م.

5- رولان بارت، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال، المغرب، ط3، 1993م.

6- رولان بارت، لذة النص، تر: فؤاد صفا وحسين سبحان، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1988م.

7- مارك أنجيلو، مفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد ضمن كتاب من إعداد تزفتان تودوروف، في أصول الخطاب النقدي الجديد، ترجمة وتقديم: أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987م.

8- ميخائيل باختين، الشعرية وستوفيسكي، ترجمة: جميل نصيف التكريتي، منشورات توبقال، المغرب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (دط)، 1981م.

رابعًا: المجلات والدوريات.

1- المختار حسني، من التّناص إلى الأطراز، علامات في النقد العربي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة السعودية، ج25، مج7، سبتمبر 1997م.

2- جمال الجاسم المحمود، فن المقالة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مج24، ع1، (د ب ن)، (د ت).

3- جمال مباركي، التناص وجماليته، نقلاً عن: خيرة حمر العين، قراءة في قصيدة رمزية الماء في فضاءات لسامر سرحان، مجلة القصيدة، (د ب ن)، 1996م.

4- جوليا كريستيفا، نظرية التّناصية والنّقد الجديد، مجلة الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهري تصدر عن إتحاد الكتّاب العرب بدمشق، العدد 494، حزيران 2007م.

5- حسن البنداري وآخرون، التّناص في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد 11، العدد 02، 2009م.

6- عبد القادر فضيل، التّربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ع2، 2010م.

7- عبد القادر فضيل، التربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد 02، 2010م.

8- مجلة دراسات الشعرية الجزائرية (عدد خاص)، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2006م، نقلاً من الإمام أحمد بن حنبل في السند من حديث ثوبان، مسند الأنصار، ج5.

خامسًا: الرسائل.

1- عقيلة صخري، فن المقال عند البشير الإبراهيمي، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير في الأدب العربي الحديث، جامعة عين شمس، جمهورية مصر العربية، 1990م.

2- فاتح حمدي، التناص في شعر ابن هانئ الأندلسي، جامعة باتنة، 2003-2004م.

3- كمال عجالي، الطيب العقبي أديبًا، رسالة دكتوراه الدولة في الأدب الحديث، جامعة قسنطينة، معهد اللّغة والأدب العربي، 1997-1998م.

ملحق

نبذة عن حياة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.

ولد الإمام محمد البشير الإبراهيمي بقرية راسي الوادي بولاية سطيف، في الرابع عشر من يونيو سنة 1889م، نشأ في بيت حفظ رسم العلم وتوارثه قرونا من جد إلى جد، فحفظ القرآن في سن مبكر على يد جماعة من أقاربه، لمّا جاوز العشرين رحل إلى المدينة المنوّرة سنة 1908م، فرارًا من ظلم فرنسا ومكث فيها إلى غاية 1921م.

أسّس مع زميله عبد الحميد بن باديس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م[1].

ظلّ يكافح ويصلح أبناء الشعب الجزائري من خلال مقالاته، ورسائله وخطبه، التّي كانت تهزّ المنابر بكلمة الحقّ والدّفاع عن الإسلام والعروبة ببرهانه وحججه القويّة.

ومن أهمّ مؤلّفاته:

- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي بجمع وتحقيق أحمد طالب.
- وكتاب عيون البصائر للبشير الإبراهيمي.

وافته المنيّة يوم الأربعاء 19 ماي 1965م.

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 272.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

مقدمة ..... أ – ج

الفصل الأول: التّناص بين المفهوم والنشأة.

1 - مفهوم التناص 05

1 - 1 - لغــةً..... 05

1 - 2 - اصطلاحًا..... 06

2 - ارهاصات التّناص في النقد العربي القديم 08

3 - التناص في الجهود العربية الحديثة 14

4 - التناص في الدّراسات الغربية 21

5 - أنواع التّناص 30

6 - مجالات التّناص..... 33

الفصل الثاني: فنّ المقال وقضاياه عند البشير الإبراهيمي.

1 - فن المقال عند البشير 41

1 - 1 - مفهوم فن المقال..... 41

1 - 1 - 1 - المقال لغةً..... 41

1 - 1 - 2 - المقال اصطلاحًا 42

1 - 2 - أنواع المقال عند البشير الإبراهيمي 43

1 - 3 - خصائص المقال عبد البشير الإبراهيمي 50

2 - قضايا المقال عند البشير الإبراهيمي 53

2 - 1 - القضايا الاجتماعية..... 52

2 - 2 - القضايا السياسية 58

2 - 3 - القضايا الدّينية..... 63

2 - 4 - القضايا الثقافية التّربوية 67

الفصل الثالث: تجليات التّناص الدّيني في مقالات البشير الإبراهيمي

1 - التّعاون الاجتماعي 72

2 - الشبان الزواج 76

3 - الطلاق 79

4 - أعراس الشيطان 82

5 - إلى أبنائنا المُعلّمين الأحرار 87

6 - لا يصلح آخر هذه الأمّة إلاّ بما صلُح به أوّلها –إلى القرآن من جديد- 91

7 - نداء إلى الشعب الجزائر المُجاهد 97

8 - الدّين المظلوم 103

9 - ذكرى **8** ماي 103

10 - جهاد الجزائر وطغيان فرنسا 107

11 - عيد الأضحى 112

12 - أثر الصوم في النفوس 120

خاتمة.....125

قائمة المصادر والمراجع 128

ملحق 139

فهرس الموضوعات 141

ملخص البحث

يروم البحث الموسوم بعنوان: "التناص الديني في النثر عند البشير الإبراهيمي –فنّ المقال انموذجًا-" بدراسة التناص وكيفية توظيفه في خدمة البُعد الإصلاحي، من خلال مقالات البشير الإبراهيمي، حيث نجد الإمام وظّف التّناص الدّيني في مقالاته بطريقة عفوية بهدف مُعالجة وإصلاح قضايا مجتمعه.

الكلمات المفتاحية: التّناص، المقال.

Summary :

The study, entitled: "Religious Prose in Prose by Al-Bashir Al-Brahimi," is a model article "examining the relationship and how to employ it in the service of the reformist dimension." Al-Bashir Al-Ibrahimi articles find the imam employed in his articles in a spontaneous manner to deal with and reform the issues of his society.

Keywords: intertextuality, article.